

السنة السادسة (ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هـ - أبريل سنة ١٩٤٠ م) العدد الرابع

صحيفة دار العلوم

١٩٣٤

نصدرها «جماعة دار العلوم»
كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير
محمد علي مصطفى

المدير
محمد نجيب حيا

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادي دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلي

الاشتراكات والحوالات المالية
ترسل باسم أمين الصندوق

السابعي بيومي

المدرس بدار العلوم
مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوي

٢٠ قرشاً	في القطر المصري
٦ شلنات انجليزية	خارج القطر
٥ قروش	ثمان العدد

مطبعة العلوم بشايع الخليلج ١٦٢

إِنْ بَاحِثًا مُدَقِّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَفْصِلَ أَنْ يَمُوتَ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَنْ يَحْيَا الْوَحْدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَيَحْيَا فِي دَائِرَةِ الْعُلُومِ

الأنشاد الأمام الشيخ محمد عبده

مجمع المطبوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أميرتنا الجديدة

أسبغ الله نعمته على البيت العلوي الكريم ، وعلى الشعب المصري عامة حين أشرقت في سماء القصر ، وتألقت في أفق القطر صاحبة السمو الملكي الأميرة « فوزية » كلاًها الله وأقربها الأعين .

لقد كان حادثاً سعيداً قابله الشعب الخالص الوفي للعرش بقلوب مفعمة بالفرح والابتهاج ، فكان عيداً قومياً مباركاً يتجدد الاحتفال به كلما حان ميعاده .

وإن الصحيفة ليشرقها أن تنوب عن أساتيف اللغة العربية من أبناء دار العلوم في جميع المعاهد — في أن ترفع إلى السدة العلمية أخلص التهئة من قلوب ملؤها الولاء لحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول حفظه الله !! وأن تضرع إلى المنعم المتفضل أن يجعل قدوم الأميرة المحبوبة طالع يمن وبشير سعادة شاملة للبلاد وأهلها، إنه سميع الدعاء !!

موجة نور من ضفاف الأنبياء

وهذه أنشودة بارعة ، تغنى بها الشاعر المبدع الأستاذ محمود حسن إسماعيل
خريج دار العلوم فى الحفلة الساهرة التى أقامتها محطة الإذاعة فى دار الأوبرا
الملكية احتفالاً بميلاد صاحبة السمو الملكي الأميرة فوزية قال :

مالقيشارك يا شا عرنيسان الأغاني ؟

خمر « آذار » حوالبك تغنى فى الدنان

والضحى قلب على الشيطان خفاق الحنان

والربى أنفاسُ عشاق وأحلامُ غواني

والهوى والشعرُ من فرط الهوى معتقان

لا ترى زهرة أيبك لم يزرها عاشقان

ويبشان لها النجوى وتسبيح الأمانى ..

لا ترى شطّ غدير لم يعدّه طائران

وكما موجته تحكى رؤاها يسمران ..

لا ترى سنبلة فى الحقل خرساء اللسان

خفيف البرّ موسيقا تغنى للزمان

ولمن يسمع بالروح ، ويصغى للحنانى ..

كل شىء حول أيامك هتاف المغانى

قلم القيثار نعسان ؟ وما ذنب الأغاني ؟

هى فى الأوتار تدعوك ، فقم هن المثنانى !

إن يكن حائلك قد جفّ قلم تهجر حانى ؟

وأنا النيل أبو الدنيا ، ومحي المهر جان !!

هكذا قال لي النيل ! فأشجاني الملام
وتلفت وللنأى بكفى حنين وغرام
وإذا عرس على ضفاته الخضر مقام
رصعته الانجم البيض ووشاه الغمام
هاجت الأيام في الغرب وأضراها الخصاص
وليليه أغاريد وعطر وسلام
ورحيق من هوى الدنيا وسحر وابتسام
ومزامير بكف الطير تصجر وتنام
قصب الخلد لها يصغي فيدشجيه البغام
ويرن القبر المسجور منها والحمام ..
أي عرس ذاك لم يشهد مجاليه إلا نام ؟
وفد الشعب له نشوان يعنيه الزحام
مثل موج البحر ، دنياه سجود وقيام
نحو «عبدن» رمى الشوق سراها والهيام ..

هكذا قلت لموج النيل في ظل المساء
وله في الشط مالل زهر من همس الغناء !
فسجا حيناً . ودوى صوته بين الفضاء
قال : عرس القصر لو تعلم عرس في السماء
أترع الحور له في الفجر أقداح الضياء
وتهادين لشطى ، وتراقصن إزائي
وحثن الخطو للقصر ، ببشر وهناء

ثم أقبلن على المهد بهالات الدعاء
وإذا موجة نور من ضفاف الأنبياء
الهدى والظهر حوليها وأنغام الصفاء
بنت «فاروق» وبنت الشمس دُنيا من ضياء!

إيه يا «فاروق» أيامك للأيام عيد
وغناء في فم الشرق سماوى جديد
وعلى تاجك للأوطان نصر وسعود
عصر كالميمون فجر في روايتها سعيد
رَقْرَقَ النور قذابت حول ساقها القيود
وغزاها البعث والإصلاح فانهار الجمود
كل يوم لك فيها مذهب عال سديد
من رأى وجهك في المحراب أغراه السجود
قسماً للهدي فيها، وللمجد شهود
وجبين فيه للوادي أمان وعهود
وبه للغيب آيات ستتلوها الوجود!

قائد الجيش سلاماً جيشك الحتف المبيد
خلقته جمة الأهوال والبأس الشديد
وزعاه سيف «إبراهيم» والعزم الحديد
فليعد في جنبه الدنيا بحامي ويسود
وليعد «خالد» للشرق، ويرعاه «الرشيد»!

قائد الجيشِ سلاماً جيشك الحثيفُ المبيدُ
طرّاً إلى الجوزاءِ إنا خلفك اليومَ جنودُ
كلنا في الهولِ هولٌ وبروقٌ ورعودُ
نهرعُ الاقدارَ عن «مصر» ونفدى ونذودُ
نحن شعبٌ من قديم الدهرِ جبارٌ عنيدُ!
ملكنا فوق السهّا رَفْرُفَهُ عالٍ بعيدُ
عاش راعيهِ ، وحيته من النيل الورودُ
ومن الشعبِ قلوبٌ والهاثُ وكبودُ!!

مرافقة الثقافة العامة
وزارة المعارف العمومية

محمد حسن اسماعيل

كلمة عاجلة

كان للمعلم ورسالة المعلم ومقام المعلم « وكادر » المعلم شيء من العناية في مجلس النواب حين عرض لدراسة ميزانية المعارف ، وإنه ليسرنا أن يدرك حضرات أعضاء المجلس الموقر منزلة المعلم في أمته ، ويقدرُوا رسالته قدرها ، ويلقوا على عاتقه إعداد الجيل الناشئ .

وقد نال معلم اللغة العربية خاصة كثيرا من اهتمام حضرات الأعضاء ، فنأدى بعضهم بوجوب النظر في ظلامته التي ضج بالشكوى منها في السنين المتتالية ، ونرجو أن يكون لما صرح به حضرات الأعضاء أثر عملي في الوزارة المهيمنة على شئون التعليم .

أما هذه الظلامه فتتلخص في أن وزارة المعارف لم تسوفى المعاملة بين طائفتين تزاو لان عملا واحدا فكانت لأبناء المعلمين العليا بكييل ، وكالت لأبناء دار العلوم بكييل آخر ، وجرى العمل على ذلك حقبة من الزمن ، حتى تضخم سبب الشكوى ، وتجمست الفروق ، وعظم شأنها ، فبرمت نفوس أبناء دار العلوم بحالتهم ، وهبوا يطلبون حقهم المهضوم ، ويرجون مساواتهم بغيرهم ، ولقيت شكاتهم في بعض الأحيان آذانا مصغية ، غير أن أسباب الشكوى مازالت قائمة ، والنفوس مازالت برمة ، ولعل وزارة المعارف تحترم تلك الرغبات التي أبديت في مجلس النواب الموقر ، فتعمل على إنصاف هؤلاء المعلمين ، وترد إليهم حقهم كاملا .

إن أبناء دار العلوم — وعددهم يبلغ الألف في وزارة المعارف — قد طالبوا بحقوقهم في هوادة ولين ، وهم إن سكتوا الآن على الظلم ، فإنما يدفعهم إلى السكوت شعور وطني عميق استقر في نفوسهم منذ أن نشأت ، وهم يقدرُونَ تلك المحنة العالمية التي يجتازها العالم ، وهم على أتم الاستعداد لأن يضحوا بكل شيء في سبيل بلادهم ومليكهم ؟

الأسلوب القصصى وأثره فى النشر العربى

للمركتور الأصمحر ضيف

يعتبر الأسلوب القصصى من أعظم أنواع النشر فى الكتابة الأدبية عند جميع الأمم ، ولكن أدباء الغرب لم يعنوا بتدوين هذا الأسلوب إلا فى العصر العباسى ، إذ لم يكن للقصص أثر يذكر فى عصور اللغة العربية قبل ذلك ، ولا تحسب قصص الزباء وسطيح ، وحروب العرب وأخبار الجن ، وما هو مدون من سيرهم وأحوالهم وأخبارهم ، وما كان يجرى فى المجالس والمحافل هناك — من هذا النوع ، لأن هذه قصص تاريخية لا أدبية فنية ، وليست مكتوبة بأسلوب أدبى رصين ، ولا بقلم كاتب واحد ، بل رواها الرواة وغيروا وبدلوا فيها ، كما يروى المؤرخ حادثة ثم يرويها مؤرخ آخر بطريقة أخرى ، فلا يعد هذا من الأساليب الأدبية ، على أن الأسلوب القصصى ظهر فى الأدب العربى وبلاغته ، منذ ظهر أول كتاب فى لغة العرب ، وهذا الكتاب هو القرآن الكريم ، فقد جاء القرآن بكثير من القصص التى تحسب من نماذج الكتابة البليغة ، وأساليبها الفنية البديعة ، المحتوية على كثير من الأحوال التاريخية والاجتماعية : كقصص فرعون وموسى وإبراهيم ويوسف وعيسى ومريم وأهل الكهف وسليمان والنمل وغيرها ، ولكن لم ينسج على منوالها أحد من الكتاب ، لأن الأدباء ونقاد الأدب لم يرشدوا الكتاب إلى هذا النوع من الكتابة الفنية .

القصص والأحداث:

وقد احتوت كتب الأدب العربي على كثير من القصص، كأيام العرب وحروبهم وذكر ملوكهم وشعرائهم وعشاقهم، ولكن كل هذا من باب الأحاديث أو المسامرات، لا من باب الكتابة الأدبية الفنية التي تتميز بأسلوب الكاتب، وتعرف بصبغته الشخصية، وشعوره الخاص به في الكتابة؛ لأن حوادث التاريخ لا تتغير، وطبيعة الإنسان واحدة، فالحب والبغض والطمع والقناعة والإحساس والأساءة والتقوى والضلال، كلها حالات ثابتة في النفوس وفي طبيعة الإنسان، لا تختلف في أصلها؛ ولكن الذي يتغير ويختلف هو إدراك الشخص لها، وفهمها فهما صحيحا أو خطأ، وتصوير ذلك على حسب ما يرى ويفهم فهذه الشخصية هي التي تظهر في الكتابة القصصية وتميزها عن غيرها، وهي التي تقلب التاريخ إلى أسطورة أو إلى بحث نفسي أو اجتماعي، وقوة الكاتب وبراعته هي التي تلبس الحوادث والحكايات لباسا قد يجعلها خالصة باقية ببقاء الأيام.

هذه الصفات التي ذكرناها شرط من شروط كتابة القصة الفنية الأدبية، وهذا النوع من القصص المبنية على التفكير العميق، والنظام العقلي الخاص والأسلوب الفني الكتابي المحتوى على ذكر أشخاص متصفين بأخلاق خاصة وصفات خاصة. يتحدثون ويتناقشون، فتظهر في أثناء أحاديثهم ومناقشاتهم خفايا النفوس البشرية، وما تنطوى عليه العقول من ميول وأهواء وعقائد— هذه الصفات لم تظهر ظهورا جليا في النثر العربي إذ ليست هي ذلك النوع من الأحاديث التي نشرت في كتاب الأغاني وغيره من أخبار الخاصة والعامة، ولا تلك الأخبار التاريخية أو الجغرافية وغيرها.

القصص العربية:

وقد ظهر في القرنين الثالث والرابع وما بعدهما — أحاديث أو حكايات

تدخل فى باب القصص ، من حيث أنها أخبار منمقة مكتوبة كتابة أدبية ولكن كثيرا منها ليس مبنيا على خيال الكاتب نفسه، بل هى سرد أو وصف لشيء رآه، مثل ما يحكى عن أهل بغداد ومجالس الرشيد والبرامكة . وجزء عظيم من هذه القصص منقول عن اللغات الفارسية وغيرها، أو محاكاة لها ، أو مؤلف تأليفاً هو أقرب إلى التاريخ منه إلى القصص، وبعضها كتب بلغة ملحونة فاسدة لا تحسب من نماذج الأدب الصحيح، مثل القصص العربية المعروفة التى كتب أكثرها بلهجة عامية مصرية، كقصة عنتر وسيف بن ذى يزن وغيرهما.

أما مثل رسالة الغفران لأبى العلاء والتوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسى وحى بن يقظان - فهى من الكتابة العلمية أو الفنية الخاصة بالنقد الأدبى أو الفلسفى .

وهناك نوع من القصص، هى من القصص التى أخذ الكتاب فى معالجتها وأخذوا موضوعاتها من التاريخ العام، أو من بعض البلدان التى عاشوا فيها، أو من قصص القرآن، أو من ألف ليلة وليلة ، أو من تاريخ العرب خاصة ، مثل حكاية أبى القاسم أحمد البغدادى، وحكاية الحداد وما جرى له مع هارون الرشيد، وقصة أنيس الجليس وما جرى لها مع على نور الدين وهى مأخوذة من ألف ليلة وليلة، وحديث علاء الدين والقنديل المسحور، والحكايات المنسوبة إلى أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكرى ، المتوفى فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى ، كغزوة الأحزاب وما جرى للإمام على الفارس الوثاب . وغزوة الإمام على بن أبى طالب مع اللعين الهضام بن الجحاف ، وفتوح اليمن المعروفة بقصة القول ، وغير ذلك من القصص الكثيرة التى كتبت فى أزمان مختلفة .

قصة عنتره :

ومن أشهر القصص التى كتبت عن أبطال العرب قصة عنتره، وينسبون

روايتها إلى الأصمى في أواخر القرن الثاني الهجري ، وهو أقرب إلى وصف الحياة البدوية منها إلى غيرها، وهي مكتوبة بأسلوب ملحون. ولكنها احتوت على كثير من أخبار العرب وأشعارهم وأوصاف حروبهم وعاداتهم وأخلاقهم من كرم وشهامة وشجاعة وميل إلى الانتقام، كما احتوت على حبهم للشعر وفنونه وجملة أحوالهم الاجتماعية والتاريخية قبل الإسلام.

وهذا يدل على أن الذوق في القصص العربية كانت بذرة قد بدأت تنمو في نفوس الكتاب، ولو أن هذه القصص وأمثالها كتبت باللغة الفصحى، لكانت من أعظم فنون الأدب في النثر العربي، ولكنها بأسلوبها هذا لا تحسب من اللغة الصحيحة، بالرغم مما بها من الأشعار والأخبار والأمثال، ويقولون إن هذه القصة كتبت في مصر، ويروون في ذلك « أنه نشأ في مصر من أفاضل الرواة رجل يقال له الشيخ يوسف بن إسماعيل ، وكان يتصل بباب العزيز بالقاهرة فاتفق أن حدثت ربة في دار العزيز ، ولهج الناس بها في المنازل والأسواق فسأه العزيز ذلك ، وأشار على الشيخ يوسف بن إسماعيل المتقدم أن يطرق ما عساه أن يشغلهم عن هذا الحديث ، وكان واسع الرواية في أخبار العرب، كثير النوادر والأحاديث ، فأخذ يكتب قصة عنتره ويوزعها على الناس فأعجبوا بها واشتغلوا بها عما سواها، ومن تلطفه في الحيلة أنه قسمها إلى اثنين وسبعين كتاباً، والتزم في آخر كل كتاب منها، أن يقطع الكلام عند معظم الأمر الذي يشتمل القارئ والسامع إلى الوقوف على تمامه ، فلا يفتر عن طلب الكتاب الذي يليه، فإذا وقفت عليه انتهى به إلى مثل ما انتهى في الأول وهكذا... إلى نهاية القصة ، وقد أثبت في هذه الكتب بعض ما ورد في أشعار العرب المذكورين فيها... وأضاف إلى تلك الأشعار أشعاراً أخرى يبعد أن تكون صادرة عنهم، كما أضاف إليها قصصاً وأحاديث وحكايات مخترعة، قصد بها التسلية والتشيل . فعلى هذه الرواية التي وجدت في مقدمة ديوان عنتره تكون

هذه القصة كتبت فى مصر ، كما قالوا عن غيرها من القصص الأخرى التى تظهر فيها المسحة المصرية والصبغة العقلية لأهل مصر من فكاهات وغيرها .

ولكن كان لظهور بعض القصص التى نقلت عن الهندية والفارسية فى قنا — أثر عظيم ، فقد نشرت فى الأدب العربى بأساليب مختلفة ، وفى موضوعات مختلفة ، بعضها أعجمى وبعضها عربى ، وسبب انتشار هذه القصص — ولا سيما الأعجمية منها — أن أندس بين العرب أيام الدولة العباسية كثير من الأجانب الدخلاء ، وكان أكثر هؤلاء من العامة الذين يميلون إلى الأخبار الخرافية والأخيلة الغربية ، وكان التجار الذين يترددون على الهند وفارس وبلاد العرب يحملون شيئاً من هذه القصص والأخبار ، وينشدهونها فى المجالس بين العامة والخاصة ، وهذا أصل الميل إلى نقل تلك الحكايات الفارسية أو الهندية إلى العربية ، ثم زاد الناس على هذه القصص وأضافوا إليها شيئاً من صور حياتهم الاجتماعية والسياسية ، وهكذا أخذ هذا الأسلوب القصصى ينتشر بين العامة حتى امتلأ باللهجة العامية ، واشتغل به بعض الأدباء ، وجرى على ألسنتهم ، فأدخلوا فيه شيئاً من الأشعار والعبارات الصحيحة والأساليب البليغة ، وظهرت فيه حكايات هى خليط من الهندية والفارسية والحياة الإسلامية ، ولهجات العامة والخاصة ، والحوادث المختلفة للخلفاء والأمراء والعلماء والجهلاء والرجال والنساء والكبار والصغار .

والمأمل فيما كتب من القصص فى لغة العرب ، يرى أنها مأخوذة من أصول مختلفة ، وأنها تختلف من حيث التكوين الفكرى والأسلوب الفنى الكتابى على حسب مارمى إليه . فمنها :

١ — القصص التى هى أحاديث عن العرب ، وسرد لسيرتهم وأخبارهم وما كان يحدث فى مجالسهم ومجتمعاتهم ، مما امتلأت به كتب الأدب العربى ، من صور العصر الجاهلى والعصور الإسلامية ، وما كان يجرى فى مجالس الخلفاء

والأمراء والمغنين ، فهذا النوع من الكلام لا يدخل في باب القصص الفنية التي وصفناها وإنما يدخل في باب الرواية والأحاديث .

٢ — الأسلوب القصصى الفنى الذى جاء إلى لغة العرب مما نقل إليها من الفارسية أو الهندية أو غيرها، ككيلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، وغيرهما مذكروا ابن النديم في باب الأسماء والسير .

٣ — القصص التي كتبت على نمط القصص المترجمة، وحاكى فيها مؤلفوها أساليب التفكير الفارسية أو الهندية على السنة الحيوان والبهائم وغيرها مما أخذها الكتاب من تاريخ الفرس أو الهندود . قال ابن النديم في كلامه على الكتب التي صنفت في الأسماء والخرافات « ... ابتداء أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهمشيارى صاحب كتاب الوزراء، بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسماء العرب والعجم والروم وغيرهم ... وأحضر السامري فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة في الأسماء والخرافات ما يطيب له (وكان فاضلاً) فاجتمع له من ذلك أربع مائة ليلة وثمانون ليلة وكل ليلة سمر تام . . . وكان قبل محمد يعمل الأسماء والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم — جماعة، منهم عبد الله بن المفقع، وسهل بن هارون ، وعلى بن ابن داود . فهؤلاء جماعة من الكتاب كانوا يؤلفون في القصص ويحاجون الفرس وغيرهم في الأساليب القصصية » .

٤ — ظهر بعد هؤلاء جماعة من الكتاب ألفوا في تاريخ العرب وكبار رجالهم وفرسانهم وحروبهم — قصصاً، ولكنها كانت دون تلك، من حيث صحة العبارة وحسن التأليف؛ لأنها خليط من اللغة الفصحى والعبارة العامية ونقل ما في كتب الأدب المعروفة : من شعر ونثر ، ويظهر أن مؤلفيها رأوا مجارات العامة في لهجاتهم، كما ترى ذلك في قصة عنبرة وبكرو تغلب وسيف بن ذى يزن

وما يشبهها، ويظهر أيضا أن هذه القصص كتبت كلها أو جلها فى مصر كما أشرنا إلى ذلك .

٥ - القصص التى كتبها بعض علماء اللغة والأدب ، وهى قصص لغوية أدبية، وليست من السير أو الكتابة التى تمثل الأحوال الاجتماعية، مثل رسالة الغفران لأبى العلاء ، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسى .

٦ - القصص التى ذاعت فى العصور الأخيرة، وأخذت موضوعاتها من بعض الحوادث الغرامية ، وبعضها من قصص الأنبياء ، وبعضها من الأساطير والخرافات، وقد ذاعت هذه القصص فيما بعد القرن الرابع .

٧ - القصص الفنية اللغوية الصناعية المسماة بالمقامات .

أما مقامات الهمداني والحريري فهى على غير أسلوب تلك القصص العامة المملوءة بالأخطاء واللحن ، وليست شبيهة بها من حيث موضوعاتها ؛ لأن تلك الموضوعات إما فارسية أو هندية، أو عربية مقتبسة من تاريخ الفرسان والبطال فقد عبت بها الخيال ولعبت بها أهواء العامة .

والمقامات ليست على هذا الطراز، لأنها كتبت بعبارة عربية صحيحة، وأخذت حوادثها من مشاهدات الكتاب وأحوال الاجتماع والعصور التى كانوا يعيشون فيها، ولا شك فى أنه كان للحالة العقلية التى ذاع أمرها إبان القرن الثالث والرابع فى بلاد العراق وفارس وخراسان - أثر عظيم فى انتشار هذا الأسلوب، فقد كانت هناك نهضة علمية أدبية، أثارتها المناقشات بين الدول التى كانت تحكم إذ ذاك: كالدولة السامانية فى خراسان وتركستان، والبويهية فى فارس والعراق، والغزنوية فى أفغانستان وغيرها، فكان هذا سببا فى انتعاش الحياة الفارسية الأدبية التى قام بها هؤلاء لنشر لغتهم وآدابهم ، وفى زمن الهمداني والصاحب بن عباد والحوارزمي - علا نجم اللغة الفارسية ، وكان ملوك الدولة السامانية وغيرهم من ملوك الفرس يساعدون على ذلك ، فظهر جماعة من كبار شعراء الفرس .

وفي هذا الزمن نظمت الشاهنامة ، ونقلت بعض الكتب العربية إلى الفارسية ، ككتاب تاريخ الطبري الذي ترجم إلى لغة الفرس لمنصور الساماني وكان الشعراء ينظمون بالعربية ، والفارسية ويجيدون اللغتين ، وينقلون الشعر من الفارسية إلى العربية، أو من العربية إلى الفارسية، كما فعل بديع الزمان الهمداني في حضرة ابن العميد ، فقد كانت تمتحن مقدرتهم في الشعر بذلك . وقد نقل أبو الفضل أحمد السكري المرزوي كثيرا من الأمثال الفارسية إلى العربية ، كما ذكر الثعالبي ذلك في كتابه (يتيمة الدهر) كل هذا أوجد في اللغة العربية حالة لم تكن مروفة قبل ذلك، وقد عاش بديع الزمان الهمداني في هذه البيئة، وكتب مقاماته في نيسابور، فظهر فيها أثر التفكير الفارسي، وفي هذا العصر انتشر ذلك المذهب الكتابي المملوء بالصناعة والسجع والعمل والتكلف، وكان هناك جماعة يمثلون هذا المذهب الجديد، وعلى رأسهم ابن العميد والصاحب بن عباد وأبو بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمداني، فنشأ بديع الزمان في هذه البيئة وكان يجيد الفارسية، وترى هذه التربية الممزوجة بالثقافة العربية والفارسية، ومن هنا تمكنت من نفسه ملكة الكتابة القصصية فكتب مقاماته الشهيرة التي كانت نموذجا لهذا النوع من الكتابة القصصية، ورغم أن بن دريد سبقه بأحاديث نشرها، فهو أجدر بنسبة هذا الأسلوب إليه . أما موضوعات مقاماته فقد أخذها كقلنا من أحوال الناس الذين كانوا يعيشون في عصره، ثم من بعض أحواله الخاصة فقد رسم فيها صور بعض هؤلاء الناس ، ولا سيما الأدباء الفقراء الذين كانوا يسألون ويتكسبون من آدابهم، وقد عالج موضوعات أخرى بعضها عقلية وبعضها لغوية ، ثم جاء الحريري واقتفى أثره ، بل حاكاه محاكاة تامة في الأسلوب والموضوعات، وفاقه في كثير منها، وأمعن في الصناعة اللفظية إمعانا، وافتن في ذلك افتنانا . وجملة القول أن هذه المقامات اشتملت على بعض المسائل الاجتماعية وعلى وصف بعض النفوس، ولكن لم يكن الغرض الأول منها الكتابة القصصية

الفنية، بل إظهار البراعة فى أساليب الكتابة المسجعة وأنواع الشعر الصناعى، وتميق الأسلوب، وهذا يدل على أن الفن القصصى كان فى بدء نشأته، فكان يحتاج إلى زمن طويل، وإلى أساليب متعددة تكتب فى مثل هذه الموضوعات، وإلى تطور وانتقال، حتى يصل إلى درجة النضوج، على أن هذا الأسلوب القصصى شاع فى أواخر الدولة العباسية، وقت تمكن السجع وأنواع البديع من نفوس الكتاب فقدم باتباع هذه الأساليب، ولو أنهم كانوا فى عصر آخر، أو لو أن كتاب اللغة العربية من الأدباء استمروا فى الكتابة على هذا النمط - لوجد فى هذه القصص أسلوب سهل آخر، يكون نموذجاً للكتابة النثرية القصصية الفنية على أن أسلوب المقامات بقى متمشياً فى جميع عصور اللغة، ولكنه بقى أيضاً أسلوباً صناعياً، ومهما يكن من أمر مقامات الهمذانى والحريرى من حيث احتواؤها على بعض المسائل النفسية والاجتماعية، فهى تحسب قصصاً أدبية لغوية، لاشتمالها على كثير من غريب الصناعة اللفظية، أكثر من اعتبارها قصصاً اجتماعية.

ألف ليلة وليلة

هذا الكتاب هو أشهر الكتب القصصية فى لغة العرب، بل ربما كان المثال الذى احتذاه كتاب القصص العربية منذ القرن الرابع الهجرى، وساروا على نهجه حتى فى القصص التى أخذوا موضوعاتها من تاريخ العرب، وجعلوا أبطالها من فرسان العرب ورؤسائهم. وقد كان لظهور هذا الكتاب باللغة العربية إبان القرن الثالث الهجرى - كما يقول المؤرخون - شأن عظيم فى عالم الأدب، لأنه لم يكن يعهد قبل ظهوره هذه الأحداث العجيبة، ولا هذه الصور التاريخية الغريبة فى أدب من آداب الأمم، كما أن هذا الخيال الواسع فى خلق الأساطير وقصصها لم يعرف فى اللغة العربية قبل ظهور هذا الكتاب، وقد انتشرت هذه القصص فى مصر زمن الفاطميين، فنشرت الأسلوب القصصى فى الكتابة، وتولد من

قراءته في نفوس المصريين الميل إلى الكتابة القصصية، التي ظهر فيها أثر العقل المصري المملوء بالفكاهات والملح وأخبار الجن والعفاريت.

أصل الكتاب وآراء الباحثين فيه : عند ما ذاع أمره في أوروبا في أوائل القرن التاسع عشر، أقبل على دراسته علماء الأدب، وترجم إلى لغات متعددة وكان المستشرقون أول من عني بدراسته، وأول بحث ظهر في ذلك كان للمستشرق الفرنسي الشهير (سلفستردى ساسي) في سنة ١٨١٧ م واستمر في بحثه إلى سنة ١٨٣٣ م فكتب عدة مقالات في أصل هذا الكتاب، وفقا أثره من غيره من المستشرقين.

وقد اختلفت آراء هؤلاء الباحثين في أصل هذا الكتاب، معتمدين في ذلك على رأى المسعودي في كتابه (مروج الذهب) في أثناء كلامه على (أرم ذات العباد) إذ قال (وسبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا، والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية، وسبيل تأليفها ما ذكرنا مثل كتاب (هزار إفسانه) وتفسير ذلك من (الفارسية إلى العربية) ألف خرافة . والخرافة بالفارسية يقال لها إفسانه، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتهما وهما شهرزاد ودينازاد، ومثل كتاب (مرز و شماس) وما فيها من أخبار ملوك الهند والوزراء، ومثل كتاب (السندباد) وغيرها من الكتب في هذا المعنى (١).

واعتمد الباحثون أيضا على عبارة ابن النديم التي قال فيها: (أول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن وجعل بعض ذلك على السنة الحيوان - الفرس الأول، ثم أغرق في ذلك ملوك الأشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس، ثم زاد ذلك واتسع في أيام ملوك السلسانية، ونقلته العرب إلى اللغة العربية، وتناولته العلماء والبلغاء فهدبوه ونمقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه

(١) مروج الذهب - ص ٩٠ طبع باريس

وأول كتاب عمل فى هذا المعنى كتاب (هزار إفسانه)^(١)

قالوا وكان السبب فى وضعه ، أن أحد ملوك الفرس كان يتزوج كل يوم بفتاة، فإذا طلع عليها فجر اليوم التالى، قتلها وتزوج من غيرها، وفعل بالثانية مثل ما فعل بالتي قبلها، ثم تزوج أخرى وهكذا ... إلى أن ضجر سكان المدينة منه وضجوا من عمله، فوهبت له نفسها بنت أ كبروزرائه، وكانت ذات عقل وحكمة تسمى (شهر زاد) فلما كانت معه، أخذت تحذثه أحاديث خرافية ملكت عقله فى أول ليلة لم تتم حديثها، بل أبقت له بقية اشتاق الملك إليها، فأبقى على محدثته إلى الليلة التالية حتى تتم حديثها، فلما جاءت الليلة الثالثة أبقت له بقية أيضا فتركها الملك لتتم حديثها، وما زالت كذلك فى كل ليلة والملك يصغى إلى حديثها ويتشوق إلى بقيته حتى نسي عادته الممقوتة، وبذلك أنقذت بنت الوزير فتيات بلدها من يد هذا الطاغية، وكانت أتمت حديثها فى ألف ليلة وليلة .

ولكن هذه الآراء لا تدعو إلى الجزم بصحتها، لأنها روايات لا يعتمد قائلوها على برهان قاطع، ولهذا اختلف الباحثون فى ذلك، فقال بعضهم إن أصله فارسى، وقال آخرون بل أصله هندى ، وآخرون قالوا : إنه خليط من حكايات فارسية وهندية، بل رأى بعض الباحثين أنه كتب زمن العباسيين، على أثر انتشار أخبار الفرس وحكاياتهم على السنة العامة ، ثم زيدت عليه قصص أخرى فى أماكن وأزمان مختلفة ، وقد بلغ الاضطراب فى روايات هؤلاء الباحثين أن نفى بعضهم كل أثر فارسى أو هندى فى هذه القصص ، وخطأ السعودى فى روايته وأيد رأى المسعودى عالم ألماني مستشرق، وقال العالم الأنجليزى (لين) إن الكتاب كتب بقلم واحد بين سنة ١٤٧٥ - سنة ١٥٢٥ م، وقسم أحد علماء الألمان (مولر) الكتاب أقساما : قسما منه كتب فى بغداد ، والقسم الأكبر كتب فى مصر ، وبعضهم قسم الكتاب ثلاثة أقسام : القسم الأول يشتمل

(١) فهرس ابن النديم، ص ١٠٤

على القصص التي نقلت من الأصل الفارسي (هزار إفسانه) والقسم الثاني قصص كتبت في بغداد ، والقسم الثالث قصص كتبت في مصر ، وأضيفت إلى الكتاب وضمت إليه حكايات مثل حكاية الملك عمر بن النعمان وأبيه .

وجاء بعد هؤلاء المستشرق البلجيكي (شوقان) وقال إن القصص التي كتبت في مصر ، كتب قسما منها كتاب من اليهود . وأرجح هذه الأقوال على ما يظهر — هو أن الأصل الأصيل لهذا الكتاب هو القصص الفارسي الذي ترجم إلى اللغة العربية في القرن الثالث الهجري المستمد أكثره من أصل هندي ، فإنه بمقارنة ألف ليلة وليلة العربية بالكتاب الأصلي ، يرى أن هذه القصص العربية هي بعينها تلك القصص الأصلية ، مع تغيير ضئيل اقتضته الترجمة أو أن ما حصل من التغيير هو في بعض الصور والأسماء القديمة ، التي استبدل بها غيرها من الصور والأسماء العربية ، ففي النسخة العربية أسماء فارسية مثل (شهر زاد) و (شاه زمان) وحكايات تشبه ما في القصص الهندية في أسلوبها وموضوعاتها مثل حكاية التاجر العارف بلغة الحيوان ، ومثل تسلسل الحكايات ودخول بعضها في بعض آخر ، وطريقة ذكر القصة لإلهاء السامع والوصول إلى غرض معين ، هي طريقة الحكايات الهندية . وهناك بعض قصص هندية محضة ، مثل قصة الوزراء السبع ، ومثل قصة التاجر والجني ، والصائد والجني ، وفي الكتاب عبارات هندية مثل العبارات الآتية (يلزمك ألا تفعل هذا حتى لا يحصل لك مثل ما حصل لفلان) وكالعبارة المكررة كثيرا ، وهي سؤال رجل لآخر (وكيف ذلك) فهذه العبارات نفسها في الترجمة العربية وهي تشبه ما في القصص الهندية المنتشرة في أيدي العامة . كما أن هناك قصصا مأخوذة من الفارسية والأمثلة على تلك معروفة . فهذا دليل على أن الكتاب مأخوذ من أصل فارسي وهندي ، زيدت عليه حكايات أخرى وصور أخرى من الحياة العربية الإسلامية

أقسام قصص ألف ليلة وليلة ومجراتها : .

إنه برغم التشابه الذى قد يكون بين هذا الكتاب وأصله الفارسى، لا بد أن يكون قد أدركه كثير من التغير والتبديل . وتفصيل الكلام فى ذلك قد يخرج بالباحث عن الحقائق إلى الظن والتخمين ، ولكن يمكن أن يقال على وجه الإجمال على حسب آراء الباحثين : إن القصص التى ترسم حياة الأسر النبيلة أو الأسر المثرية أو الطبقة المتوسطة ، أو القصص التى بها الحوادث الغرامية، والتى يذكر فيها أسماء الخلفاء ، كهارون الرشيد - هى من القصص التى كتبت فى بغداد .

والقصص التى تكثر فيها الفكاهات والنكت البلدية ويذكر فيها الجن والعفاريت وبعض الآراء المألوفة لنا فى مصر، وصور الحياة المصرية ، وذكر المدن المصرية - هى قصص مصرية . على أنه قد يجد القارىء ذكر الجن فى القصص التى ترجمت عن الهندية، ولكنه لا يجد فيها ما فى القصص المصرية من اتصال هذه العفاريت بالسحر وما يشبهه وقد يكون فى القصص المصرية شىء من المجون، ويقول بعض الباحثين: إن هذا النوع من القصص المصرية التى يكثر فيها ذكر العفاريت والمجون ، كتبت بأقلام الإسرائيليين الذين أسلموا واستدل على ذلك بما فيها من الأسماء العبرية كما سيأتى فى الكلام على القصص الإسرائيلية .

لقد تبين من ذلك أن الباحثين جعلوا قصص ألف ليلة وليلة ثلاثة أنواع قصصاً فارسية هندية، وقصصاً كتبت فى بغداد وقصصاً كتبت فى مصر، وقد عرفنا القصص الفارسية الهندية ومجمل أوصافها، وأن القصص التى كتبت فى بغداد وهى ما يذكر فيها صفة أهل بغداد، ووصف الحياة هناك فى القرن الثانى الهجرى وذكر هارون الرشيد، وغير ذلك مما يمثل الحياة الإسلامية إذ ذاك .

أما القصص التى كتبت فى مصر فهى قسمان : ما كتبه مسلمون وما كتبه إسرائيليون؛ ولكل مميزات تجعلها إجمالاً فيما يأتى :

القصص المصرية ومميزاتها :

لقد يجد القارئ المصري لبعض قصص ألف ليلة وليلة - تشابها بينها وبين ما هو مألوف من أسلوب أحاديث العامة أو الخاصة، وما هو معهود من أخلاق وعادات مصرية، سواء أكان ذلك في الأحوال الاجتماعية أو النفسية. ولقد تكون هذه القصص مكتوبة بأسلوب عربي مصري، أو لهجة مصرية، وهذا ما يحمل على التصديق بأن هذا الكتاب قد احتوى على قصص مصرية كتبت في مصر، وبأقلام كتاب مصريين، وتتميز هذه القصص بصفات: منها أن موضوعاتها ليست خيالية بحتة بل مأخوذة من الحياة العامة المصرية، وأن ليس الغرض منها جذب القراء إليها بما فيها من الغرائب والعجائب التي لا يصدقها إنسان عاقل، كما في القصص الفارسية أو الهندية المملوءة بالأساطير والخرافات. ومنها أن الكاتب يعتمد فيها على ما في نفسه من أثر الحوادث التي شاهدها في حياته، ورسم الأشخاص الذين عرفهم ورآهم وأنه إذا وجد شيء من الأساطير فإنه يكون بقدر الحاجة. ومن صفات هذه القصص أن الأشخاص الذين فيها هم جميعاً، ممن يعيشون بكدهم، ولا تكاد نجد بينهم من ساعدهم الحظ فأصبحوا من الأغنياء، أو نكبتهم الأيام فصاروا من الأشقياء، لأنهم يعتمدون على المصادفات؛ لهذا نجد الكاتب المصري كثيراً ما يتكلم عن الصناعات، ويذكر رجلاً من التجار يتكلم عن تجارتهم وسلعهم كما في قصة الأحدث، وكما في الكلام على «أبو قير ومصبغته» «وأبو صير وحمامه» وغير ذلك. ومن هذه القصص قصة معروف الإسكافي المشهورة. وبمناسبة ذلك قال بعض الباحثين إن غير القصص المصرية مملوءة بالخيال والمبالغة والأثرة أو حب النفس، وإنها عبارة عن حلم شعب خامل يود أن يعثر في إثراء فسحة على المعادن والجواهر ليصبح من الأغنياء. ومن صفات القصص المصرية أن شخصية الكاتب فيها ظاهرة تمثل نفسه، وكأنه يدرس موضوعاً شاهده فهو يتوسع في شرحه؛ ومنها

أن أكثر هذه القصص قصيرة، وأن الصبغة المصرية ظاهرة فيها، من الفكاهة والنقد الحلو وخفة الروح. ومن أعظم مميزاتها أن كاتبها عارف بالافتتان والأساليب القصصية، عالم بكيفية سرد الحوادث وقصها، مما لا يوجد في غيرها من القصص، كما لاحظ ذلك الباحثة الألمانية (كرامر) وكما يرى في قصة معروف الاسكافي، وعلى الجوهري، وقصة التاجر على المصري، والتاجر حسن الجوهري، وقد لاحظ الباحثون أن القصص المصرية كثيرا ما تتشابه في الحوادث والموضوعات، ووجدوا أن في بعضها إطراء للرأفة المصرية، كما في الكلام على قمر الزمان. وهناك مميزات أخرى تظهر للقارىء في أثناء قراءته، فيشعر بأنها كتبت بأقلام مصريين وعقول مصرية.

القصص الإسرائيلية المصرية ومميزاتها

تمتاز القصص الإسرائيلية المصرية التي كتبها إسرائيليون مصريون - قد يكون بعضهم اعتنق الإسلام - بأشياء منها: ذكر الأسماء والأماكن العبرية كسليمان وداود وآدم وبيت المقدس، وذكر المسائل التاريخية العبرية كوصف الأرض وارتكازها مما أخذ عن كلام وهب بن منبه، وكحاربة العقاريت بعضها بعضا وتحول إنسان إلى رماد، وكحكاية الشرير الذى اختطف رجلا وطار في الهواء فأصابته ضربة من حربة ملتهبة أرسلت إليه من الملائكة، وكالقصة التي ذكر فيها أن أعرايا زار هاروت وماروت، اللذين كانا مسجونين في بئر في بابل، فلما رأى طولهما العظيم العجيب فزع من هذا المنظر، فذكر الله تعالى، فانطوى جسمهما وصار على شكل مربع وكان يرافق العربى في هذه الزيارة يهودى. وقد رأى بعض الباحثين أن الغرض من أمثال هذه الحكايات التهمك بالمسلمين.

ومن أشهر الحكايات الإسرائيلية حكاية (بلوقيا) المذكورة ضمن قصة حاسب كريم الدين بن دنيال الحكيم، إذ يظهر أن كاتبها وقف على قسط

وافر من الأساطير الإسرائيلية، كذكر الحياة وأثرها، والسعي في الحصول على خاتم سليمان، وذكر الغرائب والعجائب، فمن أمثال ذلك: أن الله خلق جبلا قدره مسيرة خمسمائة عام، وهو من الثلج والبرد، وهو الذي رد حر جهنم عن الدنيا، ولولا ذلك الجبل لاحتقرت الدنيا من حر جهنم، وأن الأرض سبع طبقات يحملها ملك، وتحت الملك صخرة، وتحت الصخرة ثور، وتحت الثور حوت والحوت في بحر تحته هواء، وتحت الهواء نار، وتحت النار حية عظيمة، ولولا خوف الحية من الله تعالى لا ابتلعت جميع ما فوقها، وأن الجنة فتحت فها فأدخلت جهنم في بطنها، وقيل لها احفظي جهنم إلى يوم القيامة، فإذا جاء يوم القيامة أمر الله الملائكة أن يأتوا معهم بسلاسل يقودون بها جهنم إلى المحشر (راجع القصه في الجزء الثالث من ألف ليلة وليلة صفحة ٢٠٠ من طبعة بيروت).

ومن أساطير هذه القصص الإسرائيلية، أنه لما توفي سليمان عليه السلام وضعوه في تابوت وعدوا به سبعين بحرا، وكان الخاتم في أصبعه، ولا يقدر أحد من الإنس ولا من الجن أن يأخذ هذا الخاتم... وأنه وجد في بعض الكتب أن بين الأعشاب عشبا كل من أخذ منه شيئا وعصره وأخذ ماءه ودهن به قدميه فإنه يمشى على أي بحر خلقه الله تعالى ولا تبطل قدماه، ولا يقدر أن يحصل إنسان على هذا العشب إلا إذا كانت منه ملكة الحيات... وكثير من مثل هذه الأساطير الإسرائيلية، ومن الأدلة على أنها إسرائيلية، وأن كاتبها إسرائيلي مصري— أنه جاء في هذه القصه أن (بلوقيا) عند ما دخل بيت المقدس كان يقرأ في التوراة، وقد سئل عن اسمه فقال بلوقيا، وأنه من مدينة مصر. هذا في جملة وصف القصص الإسرائيلية المصرية، المملوءة بالأساطير الإسرائيلية الممزوجة ببعض الصفات المصرية، مما يدل على أن كاتبها أسرائيليون مصريون، أسلموا أولم يسلموا؟

في الأدب الإنجليزي :

المملكة الفاضلة لسير توماس مور

(١٤٧٨ - ١٥٣٥)

Sir Thomas More

للمؤلف عبد الرزاق صميحة

في السنة التي مات فيها كاكستن « Caxton » أول من أدخل الطباعة في إنجلترا - عرف الناس في بيت رئيس أساقفة كنتربري غلاما ذهبي الشعر أزرق العينين ، مرحا طروبا ، ذكيا حسن الأخلاق ، تنبأ له كل من عرفه في صباه أنه سيكون رجلا له شأن ، ولم يكن ذلك الغلام إلا توماس مور .

ولد في لندن سنة ١٤٧٨ وتعلم بها ، واتصل برئيس الأساقفة اتصال تلمذة ، وكان من عادة هذا القسيس الأعظم أن يحتفل في داره بعيد الميلاد احتفالا عظيما ، وكان من بين الاحتفال روايات تمثل في العيد ، وكان توماس مور كثيرا ما يقوم بين المحتملين فيمثل دورا من عمله ، فاستلقت أنظار الأسقف الأعظم . وبعد زمن أرسله إلى أكسفورد ليتعلم بها تعلما راقيا .

وكان من عادة كل متعلم أن يكتب اللاتينية ويقرأها ، وكان اطلاعهم على آثار الكتاب اللاتين حتما ، غير أن معرفتهم بالإغريقية كانت معرفة تامة ، وكان لأدباء الإغريق منزلة لاتدنو منها غيرها ، حتى منزلة الكتاب اللاتين . وفي أكسفورد رأى سير توماس كثيرا من العلماء يدرسون الإغريقية

وأثارها ، وكانت هذه اللغة معروفة في كل دوقيات أوروبا ، بعد فرار علماء القسطنطينية من وجه الفاتحين الأتراك ، ووصلت هذه اللغة إلى إنجلترا وتعلمها الناس ، وقرأوا العهد القديم بالإغريقية ، وتعلموا بجانب ذلك فنون الإغريق ، ودرسوا المباني والتماثيل التي أقامها هؤلاء ، وحاولوا أن يشيدوا مثلها .

وقد شرب توماس مور من الكأس الجديدة حتى روى ، ودل في الجامعة على أنه من خير الطلاب وأحسنهم ، ولما أتم دراسته أصبح محاميا ، وكاتبا ، وشاعرا ، وفي الخامسة والأربعين من عمره انتخب مقرا لمجلس النواب الإنجليزى . أما في المحاماة فلم يكن له نظير في بلاده .

لم يكن عبؤه في البرلمان خفيفا ، ولكنه كان إذا فرغ من عمله عاد إلى بيته وأتم ما بقى من واجباته ، ثم انصرف إلى أولاده يلعب معهم ويمزح . ولم يكن هناك من هو أكثر منه عطفًا على الحيوان ، وكان عنده في منزله شبه حديقة حيوان ، فيها الثعالب والقرود والكلاب وغيرها . أما حبه لبيته ، وتعلق أهله وذويه به فكان مضرب الأمثال .

كان صديقا لأرزمس ، وكان إنسانيا « Humanist » امتلا قلبه بالرحمة وحب الخير للناس ، وكان كريم الأخلاق جدا ، حتى قال فيه صديقه العظيم إرزمس « لم تجد الطبيعة بأخلاق ونبل مثل أخلاقه ونبله » .

وارتقى في المناصب حتى صار قاضى القضاء ، فكان جادا عادلا ، وكان ينجز أعماله بسرعة غريبة ، حتى قيل إنه كثيرا ما كان ينتهى من أعماله حوالى الساعة العاشرة صباحا .

ولكنه بعد أعوام قليلة ، فقد مكانته لدى الملك هنرى الثامن ، فأقاله هذا الملك من منصبه ، وسجنه في برج لندن ، وهنا مرض مرضا شديدا ، غير أنه ظل على هدوئه وانشراحه ، واشتغل بجد طول يومه في البرج — وأخيرا ساءت حالته المالية ، حتى اضطرت زوجته أن تباع ملابسها من أجل طعامه .

وأخذت منه كتبه، فأغلق عليه أبواب قاعته في السجن، وقضى معظم وقته في الظلام.

وفي صباح يوم من أيام سنة ١٥٣٥، سيق هذا الرجل العظيم النبل من السجن إلى جبل البرج، في طريقه إلى الموت، فسار هادئاً كما لو كان ذاهباً ليتناول غداءه. وعندما وصل إلى ساحة الموت، ضرع إلى حاكم البرج أن يأخذ بيده إلى المشنقة، وأن يتركه بعد أن ينفذ فيه القضاء يتدحرج وحده. وداعب الجلاد ورجاه أن يؤدي واجبه على أحسن وجه، ثم وضع رأسه على الوضغ ففصلتها فأس الجلاد عن جسده.

« يوتوبيا » أو المملكة السعيدة

أما كتابه المرسوم « يوتوبيا Utopia » فقد أنشأه في اللاتينية وهو في الثلاثين من عمره، وقد ظهر فيه أنه قوى الملاحظة حكيم العقل، حوارى أفلاطون وتلميذه. وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية في سنة ١٥٥١ بعد موته بستة وثلاثين عاماً.

كانت إنجلترا في أيام إنشاء هذا الكتاب بلداً بائساً، ينفق الملك والنبلاء كل ثروته في حروب داخلية من أجل السلطة، وعلى شهواتهم ولذاتهم. ونتج عن ذلك أن أهملت الأرض الزراعية، وأصبح كثير من الناس لا يجدون طعاماً، وانتشرت الشحاذة والسرقة، واختل الأمن، وكثير القتل في السارقين وعمت الأوبئة وكثرت الطواعين.

لما رأى مور تلك الحالة السيئة التي انحدرت إليها بلاده، أراد أن يوجه الملك والأغنياء وجهة نافعة للفقراء، فألف هذا الكتاب، وتحدث فيه عن المدينة الفاضلة التي يتمنى أن تكون، والتي يتمتع كل فرد فيها بالسعادة والثروة والخير الكثير، وقرأ الناس هذا الكتاب بشوق ولهفة، وتعلموا منه كيف تكون الحياة الطيبة، والعيش الرغيد.

يقص علينا في مطالعه أنه ذهب إلى « أنغرس » وقابل بها صديقا قدمه إلى شخص غريب لفحته الشمس ، ويبدو من شكله أنه بحار ؛ وفي بيت هذا الصديق تحدث الغريب إلى مور حديثا طويلا ، وأخبره أنه رحالة كبير عاش في جميع بلاد الدنيا ، وأن خير البلاد عنده هي جزيرة « يوتوبيا » .

أما الجزيرة فتشبه هلالا ، ويشقها بحر تجاري تجري فيه الفلك بنعمة الله من مكان إلى مكان ، وعلى شطآنه كثير من المرافئ . وفي الجزيرة كثير من المدن الكبيرة التي لا تبعد واحدة منها عن الأخرى بأكثر من رحلة يوم على الأقدام ؛ أما الحاضرة ففي الوسط ، ويفد إليها كل عام ثلاثة من حكماء الجزيرة ليضعوا القوانين ، أو يعدلوها ، وكانت مزارع الجزيرة جيدة ، وفي كل مزرعة أربعون رجلا ، يشرف عليهم أبوان صالحان ولكل ثلاثين مزرعة رئيس ، وكان على كل فرد أن يقيم عامين في المزرعة ثم يغادرها إلى المدينة ، ليحل مكانه شخص من المدينة ، وبهذا تعلم كل شخص في الجزيرة فلاحه الأرض .

وكان الفلاحون يحرثون ويحصدون ، ويربون الأنعام ، ويقطعون الأخشاب ، ويحملون كل ذلك إلى المدن القريبة برا أو بحرا . وكانو يربون الدجاج ويجعلونه يفرخ بوضع البيض في أماكن دافئة صالحة لفقسه ، ولما كانت الجزيرة تغل أكثر مما يحتاج إليه سكانها فقد خزنوا الزائد من غلاتها إلى الأيام العجاف ، أو باعوه إلى الأقاليم الأخرى .

وكان نساء المدن ورجالها يخرجون لمساعدة الفلاحين أيام الحصاد . أما المدن فكانت كلها متشابهة ، أقيمت على سفوح التلال ، وكان يجري تحت كل مدينة نهر واسع ضاف ، عليه جسور من الحجارة البيضاء ، تمر السفن في مائه إلى البحر ؛ وكانت حياة هذه الأنهار تساق في قنوات ، وكان يحيط بالمدينة أسوار عالية حولها خنادق تحصنها من اليأس ، وكانت البيوت واسعة جميلة ، ذات نوافذ زجاجية ؛ ولكل بيت بابان أحدهما في الشارع ،

والآخر فى الحديقة ، وهذه الأبواب مفتحة دائماً ، وكان كل شىء فى المدينة ملكاً مشاعاً بين السكان .

وكان على كل فرد أن يتعلم بجانب الزراعة صناعة أخرى ، كالنسيج أو البناء ، ولكل فرد ما يناسب قوته من عمل ، وقد وكلت كل أسرة بصنع ملابسها وعمل رب الأسرة أن يشرف عليها ، فلا يسمح لأحد فيها بالكسل ولا الإجهاد .

وكانوا يشتغلون ست ساعات من الأربع والعشرين ، ثلاثاً قبل الغداء وثلاثاً بعده بساعتين . وفى الساعة يذهب كل شخص لينام ، أما أوقات الفراغ فكانوا فيها أحراراً يعملون ما يشاءون ، ولكن غالباً ما شغلوا هذه الأوقات بالدراسة والاستماع إلى محاضرات ، وكانوا يلعبون ساعة بعد العشاء فى حدائقهم ، ويستمعون إلى الموسيقى ، وكانوا مغرمين بلعب شطرنج ، أحجاره من الأحياء .

وكانت كل أسرة فى المدينة محكومة بالأكبرسنا ، وإذا صغر عددها ضمت إليها أناساً آخرين ، وإذا زاد عددها ساعدها غيرها من الأسر الصغيرة الكثيرة ، فاحتملوا عنها عبء تعرضها وأسكنوهم فى منازلهم ، ولم تكن مدينة تسمح أن يزيد عدد سكانها على ستة آلاف ، وما يزيد يرسل إلى مدن أخرى لم تبلغ العدد ، أو تبني لهم مدن جديدة على طراز المدن القائمة .

كانت المدن مربعة البناء ، وكل مدينة مقسمة إلى أربعة أقسام ، وفى كل منها مخازن تحفظ فيها البضائع على اختلاف أنواعها ، ليأخذ أرباب الأسر ما هم فى حاجة إليه بلا ثمن ، إذ لم يكن « يوتوبيا » تعرف النقود ، وكان فى كل جزء من المدينة مستشفى يعنى فيه بالمرضى حتى يبرؤوا .

أما الأكل فكانت له قاعات خاصة فى المدن يأكل فيها كل السكان . وإذا حان وقت الأكل دق ناقوس خاص يدعوهم إلى الطعام ، فيفقدون إليها من

كل حذب ، ويأخذون أمكتهم ، ويقوم الغلبان والفتيات بالخدمة .
ولم يكن للذهب والفضة قيمة في هذه المدن ، أما الحديد فكانت فيه منافع
للناس ، وكان عالي القدر عندهم ، ومن أجرم منهم علق في أذنه أقراط من
الذهب والفضة دليلا ، وبهذا تعلم الناس أن يحتقروا هذه المعادن النفيسة .
وكان في « يوتوبيا » مدرسون أكفاء ، والأطفال جميعا يذهبون إلى
المدارس . ويشبون على حب التعليم والكتب ، وأما الصيد فكان رياضة
وحشية ، وكانت الحرب بغية مكرهة ، ولم يكن من القانون إلا مواد قليلة ،
لقلة الحمق والجرمين في « يوتوبيا » .

تلك هي المملكة الفاضلة التي صورها سير توماس مور ، وهي خيال لم
يتحقق ، ولكن فضلها كان عظيما في إيقاظ الأفكار ، وتوجيه الناس إلى
الأخطاء التي في بلادهم ، عساهم أن يصلحوا من شأنهم ، وأن يقيموا العدل
بينهم ويتعلموا الإيثار ، والرحمة والتعاطف ، ليسود بينهم السلام ، ويعيشوا
في نعمة وعيش رغيد ، وهناء موفرة

عبد الرزاق هجيمه

الموسيقا في الأدب العربي

عرض ونقد وتحليل

- ٣ -

لهذا تارة عبر اللطيف الطهراني

العصفور: — لقد كان حديثك الغابر عن موسيقا اللفظ وموسيقا الأسلوب — ماسرني وبسط أمامي صورة من جمال القول وأسراره؛ وأحب أن تقفني على شيء من آراء علمائكم القدامى في اللفظ والمعنى؛ لأعرف إلى أي حد عاجلوا هذا الموضوع، وأقدر مبلغ نظرهم إليه، وعنايتهم به.

أنا — علماء الأدب في النظر إلى اللفظ والمعنى فريقان: فريق معتدل، جعل فضيلة الكلام الجيد قسمة عادلة بين اللفظ والمعنى، كقدامة بن جعفر، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق، وغيرهم؛ وفريق متطرف، وهورجلان، شيخ الكتاب الجاحظ الذي جعل الحسن كله وقفا على اللفظ، وغض النظر عن المعنى فقال « والمعاني مطروحة في وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي، والحضري والبدوي » ومن عرف ثروة الجاحظ اللغوية، وسلطانه على الألفاظ وحفله بها، وبراعته في الترادف، وأذنه الموسيقية في تعرف الألفاظ وتخيرها لها — أدرك سر انخيازه إلى جانب اللفظ ودفاعه عنه؛ والإمام العالم عبد القاهر الجرجاني الذي مال إلى جانب المعنى، ونصب نفسه زعيم معارضة للجاحظ، وكأنه حين رآه يدع كل حسن لللفظ — مال هو إلى المعنى، ونسب إليه كل حسن، ليقرع رأيا برأى، ويصدع حجة بحجة؛ وبهذا وقع في التطرف كما وقع الجاحظ.

ونسلمك بعض آرائه في اللفظ واستخفافه به ، وفي المعنى وعطفه عليه ؛
وسترى من ذلك عجبا ؛ قال « فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك بجالا —
أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ،
وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملأمة معنى اللفظ لمعنى الجملة التي
تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ، وما يشهد لذلك ، أنك ترى
الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في
موضع آخر . . . إلى أن قال : ومن أعجب ذلك لفظة الشيء ، فإنك تراها مقبولة
حسنة في موضع ، وضعيفة مستكرهة في موضع آخر ، وإن أردت أن تعرف
ذلك ، فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي .

ومن مالى عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالدمى
وإلى قول أبي حية :

إذا ماتقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا
فإنك تعرف حسننها ومكانها من القبول ؛ ثم انظر إليها في بيت المتنبي .
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعرقه شيء عن الدوران
فإنك تراها تقل وتضؤل بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم « وعندى أن
لفظة شيء في بيت المتنبي أجمل وأروع منها في بيت عمر بن أبي ربيعة ، فإن
تنكيرها في بيت المتنبي زادها لطفا وخفة ؛ وإضافتها إلى كلمة غير في بيت
ابن أبي ربيعة جعلتها سمجة فاترة — على أنى أقول . . . إن الكلمة لا تقبح في
موضع وتحسن في آخر لذاتها ؛ وإنما ذلك يتبع النسيج والتأليف واختلاف
الموجات الموسيقية ؛ فلا دليل للإمام في ذلك . وقد حمل الإمام على أنصار
اللفظ ونال منهم تلويحا وتصريحا ؛ وكرر رأيه في اللفظ في صور مختلفة ، في
ثنايا كتابه دلائل الإعجاز ، وأغرق في سوق الأدلة ماشاء ، فمن ذلك قوله
« واعلم أن ما ترى أنه لا بد منه عن ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم

الخاص — ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسبب الأول،
(يريد المعنى) ضرورة؛ من حيث أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني،
فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في
النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق « وقوله » وإنك
إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتاج إلى أن تستأنف فكرا في
ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدوم للمعاني وتابعة لها ولا حقة
بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس — علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها
في النطق » .

وقوله « ثم إن العجب كل العجب ممن يجعل كل الفضيلة في شيء (يريد
اللفظ) — هو إذا انفرد (لم يجب به فضل ألبته، ولم يدخل في اعتداد
بحال، وذلك أنه لا يخفى على عاقل، أنه لا يكون بسهولة الألفاظ وسلامتها
عما يثقل على اللسان - اعتداد، حتى يكون قد ألف منها كلام، ثم كان ذلك
الكلام صحيحا في نظمه والغرض الذي أريد به » وقوله « وما رأينا
عاقلا جعل القرآن فصيحاً أو بليغاً، ألا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان،
لأنه لو كان يصح ذلك، لكان يجب أن يكون السوقي الساقط من الكلام،
والسفساف الرديء من الشعر - فصيحاً، إذا خفت حروفه »

هذه نظرة الإمام الجرجاني إلى اللفظ المفرد، من أنه لا اعتداد به من غير
أن يسلك في نظم، وليس حسن الكلام بخفة ألفاظه على اللسان، وائتلاف
حروفها وانسجامها، بل فضله وحسنه في نظمه نظاما يوافق أصول النحو،
ويجري على نظامه المؤلف كما سنعرض له بعد .

ومن غريب أمر الإمام، أنه بعد أن أثار حربا شعواء على اللفظ في
مواضع كثيرة من كتابه، يعود في وقفات يسيرة، فيسلم بفضله في إحساس

مكبوت تارة ، وقول صريح تارة أخرى ، فيقع في التناقض والاضطراب ،
فاستمع إليه إذ يقول :

« وهل يقع في وهم - وإن جهد - أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير
أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم ، بأكثر من أن تكون هذه
مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية ؟ أو أن تكون حروف هذه أخف
وامتزاجها أحسن ، وما يكدا اللسان أبعد ؟ »

ويقول في صراحة ووضوح « واعلم أنا لاناأبى أن تكون مذاقة الحروف
وسلامتها مما يشغل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكد
أمر الإعجاز ، وإنما الذي ننكره ونفيل رأى من يذهب إليه - أن يجعله معجزا
به وحده ، ويجعله الأصل والعمدة ، فيخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات »

العصفور : حقا إن هذا لغريب . كيف يحمل من الإمام الجرجاني
- طيب الله رآه - أن يسلك سبيلا ملتويا في الانتصار للمعنى بلا تحفظ ، كما سلك
الجاحظ قبله مثل هذا السبيل في الانتصار للفظ ، ولست بموافقه على رأيه
المجحف باللفظ ، فعندى أن الألفاظ - وهي مفردة - لها منزلتها وشرفها الكامن
فيها أو سخفها ، وذلك بما يحتويه من ائتلاف في الحروف ، وانسجام موسيقى
أو خلافهما ، والكلام إذا كان حسنا كانت ألفاظه المفردة حسنة ، فلا يعقل
أن يكون الكل حسنا وأجزاؤه غير حسنة ، فيكون الحسن وصفا طارئا لكل
منفيا عن أجزائه ، ونظم الكلام إذا كان حسنا ، زاد الألفاظ الجميلة روعة
وبهاء ، وإذا كان غير محكم ، غص من حسنها وشوء من جمالها ، وشيئ ذلك
العقد من الدرر إذا نظمت حياته على صورة حسنة بارعة ، فقد استوى مثلا
عاليا في البلاغة ، وإذا نظمته على صورة غير متقنة ، فقد قل جماله العام ، وبقي
لحياته روعتها الجزئية من الإشراق والصفاء ، وشيء آخر ، وهو أن المعنى
في ذهن الكاتب أو الشاعر ، يحمله إلى معرض الألفاظ ، ليبحث له عن ثوب

قد على مثاله ، وقد يجد للمعنى أو شبهه ثريين أو أكثر ؛ ولكن أحدهما من خزن ناعم ، والآخر من صوف خشن ، فهل يستويان قيمة وانسجاما ؟
والعتق والكرم يقعان في الألفاظ كغيرها من الأشياء ، وبهذا تفرق ، ويكون للمعنى أكثر من لفظ ، فيجيا واحد ويموت غيره ؛ والمعاجم ملوثة بالألفاظ المهمة التي تخلفت وانفرد غيرها بالبقاء دونها ، واختيار الألفاظ الحية قد قضى به العرف المألوف ، ومهد له الذوق المسيطر ؛ ولهذا وثب مثل هذه الألفاظ إلى عالم الظهور والشهرة واستأثر بالذريع ، كالقطعة والجناء ، والواسع والسهر ، والقصير والسحاب ، والذئب والعجب والذكاء ، والبخيل والوئب والظلمة ، وخملت نظائرهما وهي على التوالى : العتارة والعجيرة ، والعذمهر والتعداد ، والفبتر والناهور والنهر ، والهكر والحرمة والضرز ، والقهمزة والطر مساء .

وسر ذلك يتجلى فيما منحتة الألفاظ الأولى من خفة حروف وانسجام موسيقى ، وما حرمتها الثانية من صفات الأولى ؛ ومن هنا تدهش لأقوال الإمام التي تلوناها عليك ، ومنها قوله « فقد اتضح إذا اتضاحا لا يدع للشك مجالا - أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة » وقوله في بعض وصفه للفظ « لم يجب به فضل ألبته ، ولم يدخل في اعتداد بحال »

وأعرف من هذا في الغرابة قوله « وإذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك ، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها » .

وليت الأمر كذلك . إذا لهان الأمر على الكتاب والشعراء ، واستراحوا عما يلاقون من عنت ونصب في صناعتهم من وراء ربط الألفاظ بالمعاني ، وطلب الملاءمة والمشاكلة بينها . ويكفي أن تترتب المعاني في نفسك فتتثال

عليك الألفاظ انثيالاً بلا جهد ولا عناء، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة، كما يقوم الإمام الجرجاني، وتلك أمنية كما نرجو أن تتحقق فكم يعاني أرباب البيان إذا عرضوا للمعاني التي تجول بأفئدتهم من حيرة وعناء في اختيار الألفاظ لها، حتى تراتبيهم كما أرادوا أو قريبة منه.

وقد يكون لقول الإمام لمعة من الصواب في الأمور العلاجية؛ كالأكل والشرب والمشي والقيود، والأمور المحسنة كالبيت والحديقة والبحر والجبل وذلك الضرب غناء لا قيمة له في عالم البيان، أما المعاني النفسية الكريمة العميقة وما يجول فيها من إحساس مبهم، ووجدان غامض — فذلك هو سر البيان وروح الأدب الخالدة، وأثمن ما ساعدت به الإنسانية من تراث؛ وهذا هو المجال الذي تتسابق فيه القوى العقلية، وتتباين الألسنة في تصويره وتقريبه من الأذهان؛ وهذا النوع هو الذي يجهد العقول ويشقها في تلمس الألفاظ التي تلائمها، وإن الكاتب أو الشاعر ليلاقى صوراً من هذا الصنف فيطاردها بميله، وينصب لها شرك قوله، ولا يزال يتنقل في مناح من القول، بعضها يعلو وبعضها يهبط، حتى يرزق عفواً أو يدرك قصداً — عبارة يقنع بها راضياً أو كارهاً، ولقد تغادر المعنى إلى غيره وفي النفس منه بقية لا يزال يمسها وتخفق بها جانحة لأنه لم يرزق الألفاظ التي تصيب الهدف.

فكيف يرى الإمام الجرجاني أن الألفاظ تترتب بلا فكر ولا تعب، إذا ترتب المعنى في النفس؟ الحق، أن هذا القول لم يرزق حظه من التوفيق. وقد يدور بخلد قارئ أن يقول ما بالك قد أثرت خصومة وصلت في غير مصال، والإمام الجرجاني لم ييخل على اللفظ ببعض ما يستحقه في نظرك؟ فقد اعترف له ببعض محاسنه فيما رويت من قوله وما لم تروه، وكان في هذا — لو أنصفت — ما يحملك عن العدول عن موقف المعارضة للإمام، أو تعديل رأيك فيما يراه للمعنى من حقوق ولا يرى مثله للفظ؛ ولقد كان

واجبا على النزول على إرادة ذلك القائل ؛ ومثلى - على ضعفه - حرى
أن يرضى بالسلامة والعافية من معارضة الإمام الجليل ، يعسوب البلاغة
وإمامها وفيصلها ، وناسج بردها ومهذب ذوقها ، وقيم صرحها ورافع لواثها ؛
والإمام فى عنق فضل التهذيب والتأديب ، فقد كان كتابه « دلائل الأعجاز »
أول كتاب أدبى نهلت منه الفصاحة صافية ، ونفضت به عن عيني غشاوة الجهالة
وحملت به عقدة من لسانى ، وهذبت به كثيرا من ذوقى بعد الفضل الأسمى
لكتاب الله الكريم .

لولا أن مدح الإمام للفظ لمعة قليلة جدا لا تكاد تبين فى ثنايا ما أورده فى
مدح المعنى ، وقد أطال ووكد وضال وجال فى ميدان المعنى . وندد باللفظ
وأنصاره ، ونال منهم فى غير هواة ، مما لا يدع لحسن رأيه فى اللفظ سيلا إلى
القلوب ؛ ويرى الإمام فوق هذا أن كل مدح للفظ قد خصه به أنصاره -
هو على الحقيقة مدح مقنع يراد به مدح المعنى ، فاستمع إليه حيث يقول « ولما
أقروا هذا فى نفوسهم حملوا كلام العلماء فى كل مانسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ
على ظاهره ؛ وأبوا أن ينظروا فى الأوصاف التى أتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى
اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكن غير قلق ولا ناب به موضعه إلى سائر ما ذكرناه
قبل ، فعملوا أنهم لم يوجبوا للفظ ما أوجبوه من الفضيلة ، وهم يغنون نطق
اللسان وأجراس الحروف ، ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا
باللفظ ، وهم يريدون الصورة التى تحدث فى المعنى والخاصة التى حدثت فيه » .

ويقول « كقولهم « لفظ متمكن » يريدون أنه بموافقة معناه لمعنى
ما يليه . كالأشياء الحاصل فى مكان صالح يطمئن فيه » ولفظ قلق ناب « يريدون
أنه من أجل معناه غير موافق لما يليه كالحاصل فى مكان لا يصلح له ، فهو
لا يستطيع الطمأنينة فيه إلى سائر ما يحىء صفة فى صفة اللفظ ، مما يعلم أنه مستعار
له من معناه ، وأنهم نخلوه إياه بسبب مضمونه ومؤداه » .

العصفور — بارك الله في صديقي الكريم ، فقد جلا على صوراً جميلة من الحقائق ، وأرضاني بحسن أدبه ومعرفته أقدار الرجال ، فجزاه الله عن العلم وأدب النفس خيراً ، وإني لأرجو أن تتم رأى الإمام في نظم الكلام بعد أن وقفتني على رأيه في اللفظ المفرد ، ولك مني جزيل الشكر والثناء على حسن ما قدمت لي في يومنا هذا من خير وفير .

أنا — للإمام الجرجاني في نظم الكلام رأى غريب أيضاً يشبه رأيه في اللفظ المفرد ، فهو يرى أن الكلام الحسن ما جرى نظمته على أصول النحو وقوانينه فحسب ، وإليك رأيه . قال :

« واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها وقال « هذا هو السبيل ، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأً إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم — ألا وهو معنى من معاني النحو ، قد أصيب به موضعه ووضع في حقه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه . واستعمل في غير ما ينبغي له ، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد ، أو وصف بمنزلة وفضل فيه — إلا وأنت تجد رجوع تلك الصحة وذلك الفساد ، وتلك المزية وذلك النقل — إلى معاني النحو وأحكامه » .

وهذا الرأي من زعيم البلاغة مثير للدهشة ، فإن أسرار البيان لا تقوم على دعائم النحو ، ولا تتحقق بالجرى على أصوله وقوانينه ، من إقامة الفاعل وبيان المفعول ، وذكر المتعلق وترتيب الثمرة بالفاء ، وبيان الحال وذكر الصفة ونحو ذلك ، مما هو بسبيل النحو ، ولو كان الأمر كذلك لكان أئمة النحو العالمين بأسراره كالخليل وسيبويه ، والقراء والكسائي والأخفش — هم الذين أخذوا بزمام الكتابة والشعر ، وخلفوا وراءهم عبد الحميد وابن المقفع ، وعمر

ابن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، والجاحظ والصابي ، والإصاحب بن عباد وابن العميد ، إن السر في بلاغة الكلام وروعته لا يرجع إلى النحو الذي يعد وسيلة أدبية لتقويم اللسان وصحة الكلام ، بل يرجع إلى ما هو أسمى من النحو منزلة ، يرجع إلى الذوق المصنفي المذهب ، والفطرة السليمة النقية الخصبية ، والذخيرة العربية المتنوعة التي يتمرس بها الكاتب أو الشاعر طوال حياته ، فتصقل لسانه على غرارها ، وتهب له مثل ما فيها من جمال وعذوبة ، وهذا أمر لا ينازع فيه أديب قاسى هذه الصناعة وعرف أسرارها ، ولعل رجال النحو العارفين بأصوله أقل الناس بيانا ، وبيانهم له صيغته الخاصة من التكلف ، وأثر صناعتهم ومصطلحاتها مما لا تطرب له الأذن ولا تشهد له النفس — ولو كان الأمر كما قال الإمام لكان قول القائل الذي يطالب الدعاء لأمه المريضة وهو « صين وأعين من دعا لامرأة مقسنة عليه ، قد منيت بأكل هذا الطرموق الخبيث ، أن يمن الله عليها بالاطرغشاس والابرغشاس » — من النظم الحسن ، لأنه جرى على أصول النحو وقوانينه ، وما أظن الأستاذ الإمام يرضى ذلك وهو إمام البلاغة والذوق .

ويؤيدنا في رأينا العالم النفسى اللبق ابن خلدون ، ويرفض أن تكون قوانين النحو هي المرجع لحسن النظم ، ونورد قوله هنا لإقناع من خامر شك في صحة ما ذهب إليه الإمام الجرجاني — قال في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية « والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية ، فليست نفس الملكة ، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها ، فإن العلم بقوانين الإعراب ، إنما هو علم بكيفية العمل ، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة ، والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين ، إذا سئل في كتابة

سطين إلى أخيه أو ذى مودته ، أو شكوى ظلامه أو قصد من قصوده — أخطأ فيها عن الصواب ، وأكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك ، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى ؛ وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور ، وهو لا يحسن تمييز الفاعل من المفعول ، ولا المفعول من المجرور ، ولا شيئا من قوانين الصناعة العربية ؛ فن هذا تعلم أن تلك الملكة هى غير صناعة العربية ، وأنها مستغنية عنها بالجملة » ويقول أيضا « وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع ، والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فى ذلك التى استنبطها أهل صناعة اللسان ، فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان ، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل فى محلها » .

وهذه شهادة ابن خلدون ، فى بيان رجال العلوم ، قال « ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين فى البلاغة ، وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم ويمتلئ به من القوانين العلمية ، والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة ، والنازلة عن الطبقة ، لأن العبارات عن القوانين والعلوم ، لاحظ لها فى البلاغة ، فإذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر ، وكثر وتلونت به النفس ، جاءت الملكة الناشئة عنه فى غاية القصور ، وانحرفت عبارته عن أساليب العرب فى كلامهم ، وهكذا نجد شعر النحهاء والنحاة والمتكلمين والنظار وغيرهم ممن لم يمتلئ من حفظ النقى من بحر كلام العرب » . وأرانى قد بلغت الغاية من إيفاء الموضوع حقه ، ولم يبق بعد ذلك ريبة فى أن قول الإمام الجرجانى فى النظم قد خالف الحقيقة وجانى الصواب إلى حد بعيد ، وأعجب ما فى الأمر أن يصدر هذا القول عنه وهو هو فى الفضل والعلم ، وإذا كان ابن خلدون العالم الناقد قد خالفه فى النظم وهو الكل المؤلف من أجزاء هى إلا لفاظ ، فما أحراه أن يخالفه فى رأيه فى اللفظ المفرد أيضا ، وينذهب مذهب الجاحظ فى اللفظ ، ويجعل المعانى تابعة

للألفاظ ، بعكس ما قال الإمام ، وقد أطال في الاستدلال وإقامة الحجة ، حتى بلغ الغاية في مهارة وحذق ، ويسرني أن أسوق إليك قوله في ذلك ، فهو أبرع وأوفى من رأى الجاحظ ، قال :

« اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ، وإنما المعاني تتبع لها وهي أصل ، فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ، ليكثر استعماله وجريه على لسانه ، حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ، ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ، ويفرض نفسه مثل وليد نشأ في جيل العرب ، ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم . وذلك أننا قدمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق ، يحاول تحصينها بتكرارها على اللسان حتى تحصل ، والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ ، وأما المعاني فهي في الضمائر ، وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى ، فلا يحتاج إلى صناعة ، وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه ، وهو بمثابة القوالب للمعاني ، فكما أن الأواني التي يخرق بها الماء من البحر ، منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، والماء واحد في نفسه ، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء . - كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، باعتبار تطبيقه على المقاصد ، والمعاني واحدة في نفسها ، وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان ، إذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن ، ثابة المقعد الذي يريد النهوض ولا يستطيعه ، لفقدان القدرة عليه ، والله يعلمكم ما لم تكتفوا تعلمون » ومن هنا ترى يا صديقي العصفور ، أن العالم ابن خلدون ، قد خالف الإمام الجرجاني وقلب رأيه رأساً على عقب ، وابن خلدون أيضاً رجل كلف باللفظ

يعنى بموسيقيته كثيرا، وإن لم يبلغ منزلة الجاحظ في صدق أذنه الموسيقية، وحسن مرانها على اختيار الألفاظ وترتيبها، وأنا بلا ريب يسرنى أن أكون معتدلا، فأرى الفضيلة مشتركة بين اللفظ والمعنى، فإذا شرف اللفظ وصفا وانسجمت موسيقاه، وواتاه المعنى البارع، وحسن سبك العبارة، فاطردت موسيقيتها على أكمل وجوها، فقد استويا كلاما بالغاحد الروعة والبهاء، وباختلاف الشعراء والكتاب في ذلك قوة وضعفا — تختلف أقدارهم ومنازلهم العصفور: — حسب الصديق الكريم ما قد سرنى به اليوم من حديث ممتع، وما أتخفى به من نقد وتحقيق لنواح كنت أمر بها في أدبكم الإنسانى، فيشتبه على الرأى فيها، فأخرج منها كما جشتها بلا فصل ولا نمحيص للحق منها، فجزاك الله عنى خير الجزاء، وأدامك للبحث الخصب نصيرا، وللخلق السرى ظهيرا، وإنى لشاكر لله جل شأنه — جمع الشمل وطى صفحة الفراق.

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا
ثم انتفض انتفاضته المعروفة، ومضى فى الجو صعدا، وهو يغرد تغريدا
أعاد إلى نفسى الذكريات القديمة، التى طالما جمعتنا على أتم صفاء، وغمرنى
بسرور طربت له كل الطرب ؟

عبد اللطيف المخرمى

التربية الإسلامية

معاهد التعليم

٣

للمؤلف محمد علي مصطفى

المفتش بالمعارف

أجملنا القول فيما بذله السابقون الأولون من اليهود المشكورة في نشر العلم بين الناس ، وتعليم الأحداث وسواهم القراءة والكتابة ، فعلى أن نتبع هذه الحركة مع بعض التفصيل ، لنعرف أما كتبها ومدادها ، وشيئا عن نظامها في الأقطار المختلفة .

١ - الكتاب

كان اليهود من العرب قد اتخذوا لأبنائهم مدارس يعلمونهم فيها كتابة اللغة العبرية وقراءتها والتوراة ، فلما جاء الإسلام بكتاب منزل ، كان أول ما عني به المسلمون تعليم أبنائهم القراءة والكتابة ، حتى يعرفوا دينهم ، ويقروا كتاب الله ، وأغلب الظن أن بعض المسلمين بعثوا بأولادهم إلى مدارس اليهود ليتعلموا فيها ، فقد ورد أن أنى بن كعب قال في زيد بن ثابت لقد قرأت القرآن ، وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في

المكتتب . وقال الواقدي « كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج ، وكان تعلم الصبيان بالمدينة في الزمن الأول . وإن كلمة المكتتب أو الكتاب لتردد كثيرا على الألسنة ، مما يدل على أن الكتاب أو المكتتب كان له وجود حتى قبل مجيء الإسلام ، وقد أشرنا من قبل إلى أن رسول الله ﷺ أمر الأسرى من فقراء المشركين أن تكون فديتهم تعليم عشرة من صبيان المدينة ، وليس هناك ما يدعو إلى الشك في أن هؤلاء قد افتدوا أنفسهم بصناعتهم ، وعلّموا أبناء المسلمين ، فإن آخر الحديث يدل على ذلك إذ يقول : ففشت الكتابة بالمدينة ولعل هذه أول الكتاب في الإسلام . وهناك أمر آخر يدلنا على أن الكتاب نشأ مبكرا ، فقد أسلفنا أن سبي قيسارية بلغ نحوًا من أربعة آلاف ، استعمل بعضهم في الكتاب ، كما ضبطها مؤرخو الفرنجة (١) ، وورد أيضا في الإصابة لابن حجر أن جبير بن حيان وكان معاصرا لعمر بن الخطاب كان معلم كتاب بالطائف ، وكذلك كان يوسف الثقفي والد الحجاج وغيره ممن قصصنا عليك أسماءهم من قبل .

كل هذا يدل على أن معاهد تعليم الأطفال نشأت مبكرة ، ثم زاد عددها وانتشرت في الأقاليم الإسلامية بسرعة ، وأزرها الخلفاء والأمراء وأعيان المسلمين بجاههم ومالهم وتقرّبوا إلى الله برعاية أبناء المسلمين فيها ، حكى غياث ابن أبي شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ يمر علينا ونحن غلّة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب ، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه . وروى أن هاشم بن مسرور التميمي القيرواني من علماء القرن الثالث كان يقف بالمكتتب ثم يقول للهؤدب : أخرج إلى من عندك من الأيتام ، فيشتري لهم الفاكهة ويطعمهم ويدهن رؤوسهم ويقبل بين أعينهم ويقول : ما عسى أن أصنع لكم ، اللهم هذا الجهد مني ، وحكى أن أمراء بني الأغلب كانوا يزورون دور

(١) راجع دائرة المعارف الإسلامية ج ٢

العباد والعلماء والكتاتيب في المواسم ويرزعون الصدقات .
ومن الخلفاء من اتخذها وسيلة لنشر مذاهب دينية معينة، فقد كان المعتصم يقول بخلق القرآن وامتحان الناس فيه ، فكتب إلى البلاد وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك ، وما زالت الكتاتيب ينمو ويتكاثر عددها ، حتى لم يخل منها درب من الدروب أو حي من الأحياء ، وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات » ، فقد ذكر ابن حوقل أن عدد الكتاتيب في بليرمو بلغ في القرن الرابع ثلاثمائة ، وكان معلموها موضع الاحترام .
والظاهر أن حركة التعليم في الكتاتيب شملت البنين والبنات ، فقد حكى صاحب البيان والتبيين « أن الوليد بن عبد الملك مر بمعلم صبيان فرأى جارية فقال « ويلك ماهذه الجارية » قال أعلمها القرآن » وأكبر الظن أن ذهاب البنت إلى الكتاب في ذلك العهد كان غير مألوف ، ألسنت تحس ذلك في قول الوليد للمعلم « ويلك ماهذه الجارية » إذ لو كان مألوفاً لما كان لهذا الاستفهام بصيغته معنى .

كانت الكتاتيب إما عامة مستقلة عن المساجد أو تابعة لها ، أو للسبيل أو خاصة في دور الأعيان والأمرء وقصور الخلفاء ، ولا يسمح لنا الوقت بتتبع كل نوع من هذه المعاهد مع شيء من التفصيل ، فأولى لنا أن نتكلم في مناهجها وطرق التعليم فيها

مناهج الكتاتيب أو المدارس الأولية

نشأت التربية متصلة بالمبادئ الدينية، فكان من الطبيعي أن يكون أساس منهجها القرآن الكريم ومعرفة العبادات وطرق إقامة الشعائر الدينية، ولكنها تعدت ذلك إلى تعليم الكتابة والحساب وبعض فنون الأدب ، وشمل المنهج كذلك الرياضة البدنية وبخاصة السباحة وركوب الخيل والوثب على ظهورها روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: « علموا أولادكم العزم والرمية ومروهم

فليثبوا على الخيل وثبا ورووهم مايجمل من الشعر « وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده « علمهم النوم وهذبهم بقلة النوم » وروى الألبشيهي في كتاب المستطرف قال: حكى الفضل بن يزيد الكوفي — وكان من كبار المحدثين وثقاتهم زمن بني أمية، وكان ينزل بجزيرة الفرات — قال: نزل علينا بنو تغلب وكنت مشغوفا بأخبار العرب، فبينما أنا أدور في بعض أحيانهم إذا أنا بامرأة واقفة في فناء خيانها، وهي آخذة بين غلام وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب فاستحسننت ما رأيت، واستحليت ما سمعت، فدنوت منها وسلمت فقالت: يا حضري ما حاجتك؟ قلت الاستكثار مما سمعت، فأخذت تقص على من أخبار الغلام حتى قالت: أرضعه حولين كاملين، فلما استتم الرضاع نقلته من فرق المهد إلى فراش أبيه، فربى كأنه شبل أسد، حتى إذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده؛ فلما بلغ مبلغ الرجال حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحي الخبلاء، وأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام » .

وأوصى الرشيد خلفا الأحمر مؤدب ولده الأمين فقال له .
يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمره قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا في أوقاته؛ إلى آخر الوصية (٢).
وأوصى عمر بن عتبة معلم ولده فقال له :

(١) باختصار عن نزهة القارىء للأسكندري .

(٢) وخذه بتنظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وانت مغتم فأنده تفيدده أياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمنع في مساجته فيستجلي الفراغ وبالفقه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهنا فعليك بالشدة

ليكن أول إصلاحك لو لدى إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك
فالحسن عندهم ما صنعت، والقبیح عندهم ما تركت : علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه
فيتركوه، ولا تتركهم منه فيه جروه، روههم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه
ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة
للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتوكل على عذر مني لك، فقد
اتكلت على كفاية منك .

وجاء في كتاب آثار الأول في ترتيب الدول لمؤلفه الحسن بن عبد الله
ما يأتي قال « يتعين على الملك أن يكون له ولد صالح يخلفه في ملكه ويبقى ذكره
من بعده ولا ينبغي أن تكون رغبة الملك في تكثيرهم بل في تجويدهم، فأول
ما ينبغي له أن ينتخب الأمهات ذوات الأصاله والصباحة والملاحة، والسلامة
في الأعضاء والجواس وجودة الأخلاق وكرائم الطباع، وليختار لذلك زمن
الربيع وفي الأسفار، وعند السرور والنشاط والانبساط، فإذا جاءه الولد أحسن
تسميته واختار له المواضع لتعتدل طباعه وتتكامل هيئته، ثم إذا ترعرع يعلمه
الخط والقراءة ويهذب لسانه على الفصاحة، ويوكل بتربيته من يثق بأمانته
وشفقتة، ثم يعلمه الركوب والفروسية والرمي والطعان وجميع ما يحتاج إليه
أهل العرب » .

وقد تعرض محمد بن سحنون التنوخي القيرواني (٢٠٢ - ٢٥٦ هـ) في
كتابه آداب المعلمين لبيان منهج التعليم الأولى مع كثير من التفصيل المفيد قال:
« وينبغي أن يعلمهم الحساب وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك
عليه، وكذلك الشعر والغريب والعربية والخط وجميع النحو وهو في ذلك متطوع.
وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن، وذلك لازم له، والشكل والهجاء
والخط الحسن والقراءة الحسنة والتوقيف والترتيل يلزمه ذلك، ولا بأس أن

يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها وليس ذلك
بواجب عليه .

فما سقناه إليك من النصيرص تعلم علما يقينيا المواد التي اشتمل عليها
منهج التعليم في المرحلة الأولى من مراحلها ، على أن الحال لم تكن واحدة في
جميع الأقطار الإسلامية ، فقد تفاوتت المناهج واختلفت تبعاً لاختلاف الأقاليم
وقد تعرض ابن خلدون في مقدمته لتعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار
الإسلامية في طرقه فقال :

« اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة
و درجوا عليه في جميع أمصارهم ، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان
وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث . وصار القرآن أصل التعليم
الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات ، وسبب ذلك أن التعليم في الصغر
أشد رسوخاً ، وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات
وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبغي عليه .

واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن
ذلك التعليم من الملكات .

فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط
وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله ، واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون
ذلك بسواه في شيء من مجالس العلم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر
ولا من كلام العرب فهم لذلك أقوم على رسم القرآن من سواهم .

وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا
هو الذي يراعونه في التعليم ، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع
الدين والعلوم — جعلوه أصلاً في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط ، بل يخلطون
في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل ، وأخذهم بقوانين العربية

وحفظها، وتجويد الخط والكتاب، ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما، وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم، لكنهم ينقطعون عن ذلك لا نقطاع سند التعليم في آفاقهم، ولا يحصل بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول، وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد إذا وجد المعلم.

وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك.....

وأما أهل المشرق فيخلطون في تعليمهم كذلك على ما يبلغنا ولا أدري نعم عنايتهم منها، والذي ينقل لنا أن عنايتهم بالقرآن وصحف العلم وقرآنيته في زمن الشيعة، ولا يخلطون بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراد.

ينتقل ابن خلدون بعد هذا إلى المفاضلة بين هذه الطرق المختلفة في الأئمة صغار الإسلامية، ويذكر ما يترتب على اتباع كل طريقة من النتائج، والظاهر أنه يفضل طريقة أهل الأندلس على سواها، لأن اتباعهم هذه الطريقة أفادهم من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي، وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارس القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها، فكانوا لذلك أهل خط وأدب بارع، أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا «

محمد علي مصطفى

من الشعراء المذسبين

السيد الحميري

له رسالة عبر العظم على فناوى

شاعر مطبوع لا يبلغ شأوه في فنه ، ولا يجاريه سواه في ذلك اللون من شعره
الذى تفرغ له ، فانهقد به ، بعد أن منحه همامة نفسه ، وأولاه عسارة ذهنه ،
وما زال ذلك شأنه لا يعدو هذا الغرض إلى غيره من الأغراض إلا لما ؛
حتى قوض بناؤه ، وسالت دماؤه ، وإذ ذاك كفر حقه الرواة ؛ وجحد فضله
المؤرخون ، فصار بعد حين من موته مغمورا ، إن عرفته بطون الأسفار
تذكرته صحائف الأفكار ، وإن رmqته عيون الأخبار قلته أحداق الأبصار ،
فقال الدهر من ذلك الشعر الذى طالما نيل به من السابقين الأولين ، فلقد كان
السيد متشيعا تشيعا مقيتا لا يقره دين ، ولا ترمقه بالرضا عين ، وما كان يبالي
فى سبيل الذود عن نزعتة أن يخرج على أدب الإسلام أو يقع فى الآثام
والأوزار ، ولعله ورث سلاطة اللسان وخبث النفس عن جده يزيد بن زياد
ابن ربيعة الحميرى ، فقد كان لسانه مفحشا وهجاؤه مقذعا ؛ هجا آل زياد بن أبى
سفيان فلم يترك لهم أديما ولم يبالي فى ذمهم تأثيما من أدب قويم أو دين كريم ؛
حتى استأذن عبده الله بن زياد بن معاوية فى إهدار دمه ، ليكون عبرة
غيره من أولئك الهجائين المجادعين الذين أباحوا الحرمات فاستحقوا اللعنات
ولكن يزيد أبى عليه هذا ، وأباح له التشكيل به كيفما شاء ، فقر يزيد الحميرى من وجهه
مستجييرا بكل عظيم ، فكانوا يردونه ردا حسنا اتقاء لسانه وخشية سبابه ،
زاعمين له أنهم لا يمنعون حمايته إلا أمر الخليفة ، فما كان لهم أن يجيروا على

السلطان ، وهو في تطرافه وجولاته لا ينفك يهجو ويقذع ، فلم يسلك مسلك
النابعة قبله فيعتذر ويرتجى ، ويستجير ويستغنى ، حتى يجد في قلب عبيد الله
مرحمة .

وبعد حين أمكنت الفرصة لعبيد الله منه فقبض عليه وسقاه من صابه ،
وأطال في الحبش مقامه ، حتى استشفع له قومه من اليمانية فشفع له ، ومن
هجائه له ولأخيه عباد قوله :

وما لا قيت من أيام وبؤس ولا أمر يضيق به ذراعى
ولم تك شيمتى عجزا ولؤما ولم أك بالمضلل في المتاع
سوى يوم الهجين ومن يصاحب لئام الناس يغض على القذاع
ومنها :

إذا أودى معاوية بن حرب فبشر شعب فميك بانصداع
فأشهد أن أمك لم تباشر أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لبس على عجل شديد وارتباع
ولا سبيل لنا إلى رواية الشيء الكثير من شعره لأننا بصدد حفيده أولا ،
ولمخالاته وإمعانه في السفه ثانيا ، ولكننا نحكم عليه عادلين في حكومتنا
بأنه أول أولئك الذين شرعوا ذلك المشرع الكدر من الشعر ، فدفعوا بغيرهم
في تلك المفازة الموحشة من الأدب ؛ بذكر ألفاظ الحنا والزنا ، ورمى المحصنات
بالمسكرات ، وقذف الأمهات والأخوات ، في عهد قريب من عصر الأدب
الرفيع أدب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام المبعوث ليتمم مكارم
الأخلاق ، فجناية هذا الشاعر ومن نحا نحوه مزدوجة ، وجريمته ومن شابعه في
نحلته مضاعفة .

أورث يزيد بن زياد حفيده إسماعيل بن محمد ذلك الأدب الفاحش واللسان
المستهتر بالسباب والقلب السادر في الخي ، فكان ينضح من معينه . ويفيض إناءه

بسخينة، وليته أطلق مقوله على لداته من الشعراء والمنافسين أو أرسل إfachشه على الأعداء من المجادعين، إذا كانت الجريرة محتملة الوقع، هينة الإيلاام للنفس، ولكنه تطاول على الخيرة الأبرار، ولم يجد من يردعه، وتسامى إلى البررة الأطهار ولم يلق من يرضه، إذ كان يتقرب إلى الخلفاء والولاة فيما لثونه ويبدارونه، ويتمدح بخلال الأمراء والأعوان فيصافونه ويتحاملونه.

ولقد كان تشيع السيد الحميرى عن عقيدة فى النفس راسخة لا تلعب بها الزعازع، وكان تحز به لآل على عن إيمان لا تنال منه الأعاصير الهوج، فلو أن التشيع عن هوى لخشى ما قد يصيبه من جنف، ولبالى ما لعله ينتظره من حيف ولكنه لم يأبه فى حبه ظلما، ولا بالى فى تحز به عنينا، فهذا أبوه كان إباضيا (١) فحين بلغتة نحلة ابنه ثار وفار وهم بقتله لولا أن أنقذه منه أحد ولاة المنصور، فلما مات أبواه ورث عنهما دارهما التى طرداه منها فى حياتهما، فلم يبك عليهما وإنما بكى فعليهما، فكان يقول فى حسرة وأسى « طالما سب أمير المؤمنين فى هذه الغرفة » وبقى طوال عمره مدافعا عن تشيعه مناخا دون تحزبه حتى جل شعره الشيعى عن الإحصاء، فكان شعره هو حديثه وسمره، سئل مرة من أين وقع له التشيع؟ فقال « غاصت على الرحمة غوصا » ثم أنشد بعد ذلك شعرا.

حدث أحد رواة الشعر قال : « جمعت للسيد فى بنى هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة، فخلت أن قد استوعبت شعره حتى جلس إلى يوما رجل ذو أطمار رثة

(١) الاباضية إحدى طوائف المسلمين الزائفة عن الهدى، خرجوا على مروان بن محمد آخر خلفاء لاميين وزعموا أن مخالفهم من المسلمين كافرون، ولكنهم يميزون الأصهار اليهم والارث عنهم، وأموال المسلمين حرام فى السلم خلال فى الحرب

فسمعتني أنشد شيئاً من شعره ، فأنشدني له ثلاث فصائد لم تكن عندي . فقلت :
 في نفسي لو كان هذا يعلم ما عندي كله ، ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان
 عجيباً فكيف وهو لا يعلم : وإنما ينشد ما حضره وعرفت حينئذ أن شعره ليس
 بما يدرك ولا يمكن جمعه كله »

ولقد زعم عنه بعض عدائهم وهم أكثر — أنه تحول عن مذهب الكيسانية (١)
 في أخريات حياته إلى مذهب الجعفرية (٢) واستدل على ذلك بأبيات إليه منها:
 أيارا كبا نحو المدينة جسرة عذا قرة تهوى بها كل سبب
 إذا ما هداك الله لا قيت جعفرا فقل يا أمين الله وابن المذهب

وهذا زعم واهي الأساس منهار الأركان ، لأننا لا نعرف له تحولا في غير
 مذهبه الذي خالط لحمه ودمه حتى يتحول عنه ، ولو كان من اليسير انتقاله من
 نحلة إلى نحلة — لخضع لأبيه عند محاولته قسره على اعتناق مذهب الإباضية ، ولأنه
 لم يجد من الأسباب الحافزة ما يدعو به إلى ترك رأيه القديم إذ يستوى لدى الخلقاء
 الذين ترهب إرادتهم المذهبان . ولعلمهم كانوا أكثر خشية لمذهب الجعفرية منهم
 لمذهب الكيسانية ، هذا إلى أن راويتي شعر السيد أنكرا ذلك وجحداه
 قال أبو داود سليمان بن سفيان المعروف بالخنزق وقد سئل عن هذا :

« ماضى والله إلا على مذهب الكيسانية ، وما ورد دليلا على تحوله
 منحول عليه منسوب له وهو منه برى » وحدث راويته الثاني إسماعيل بن
 الساحر وقد نقل إليه بعد وفاة السيد أنه رجع عن مذهبه في ابن الحنفية وقال

(١) الكيسانية فرقة من شيعة المسلمين زعيمها المختار بن أبي عبد الله الشافعي الذي نازر الحسين رضي
 الله عنه ، أخذ مذهبه عن كيسان مولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما ، وقوام مذهبه أمران : إمامة
 محمد بن الحنفية ، وجواز البدء على الله عز وجل . ولها آراء لا يبيغها رأى ، فيزعمون ابن الحنفية حيا في
 جبل رضوى ، ولديه عينا ما ، وعسل يالك منهم زرقه . ودور في حراسة اثمار ويقيم حيث هو حتى يخرج
 الهداية الناس ، فهو المهدي المنتظر ، وفي شعر السيد بعض هذا (٣) نسبة إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر
 ابن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم قال أكثر الشيعة بإمامته ولكنهم اختلفوا في خلفه :

بإمامة جعفر بن محمد » والله ما رجعت عن ذلك ولا القصائد الجعفرية إلا
منحولة قلت بعده ، وآخر عمدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلا يروي
عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام « إنه سيولد لك بعدى ولد وقد نخلته
اسمي وكنيتي ، فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها :

أشأقتك المنازل بعد همد وتربيتها وذات الدل وعد
منازل أقفرت منهن محت منازلهن من سيل ورعد
وريح حرخف تستن فيها بسافي الترب تلحم ماتسدى
ألم يبلغك والأبناء تنمي مقال محمد فيما يؤدى
إلى ذى علمه الهادى على وخولة خادم فى البيت تردى
ألم تر أن خولة سوف تأتى بوارى الزند، صافى الخيم، نجد؟
يفوز بكنيتي واسمى لاني نخلتهما والمهدى بعدى

ثم يشرح عقيب ذلك مذهب الكيسانية شرحا مستفيضا فى نسج مصقول
وأسلوب سهل ، فكأنه خطيب يبين للناس تعاليمه ، ويفصل مبادئه ، ويتحدث
عن آرائه، وهمه أن يكسب ثقة سامعيه وينال رضا حاضريه ، فيكاد يلزم بصغيرات
عقائدهم كأن يقول :

يطيب عنهم حتى يقولوا تضمنه بطيبة بطن لحد
سنين وأشهر او يرى برضوى بشعب بين أنمار وأسد
مقيم بين آرام وعين وحفان تزوح خلال ربد

وإني إن شككت فى نسبة القصيدة إلى السيد - فتقتى لا يعتورها شك فى أن
هذا الحديث جملة وتفصيلا من وضع الشيعة لأسباب منها : أن السيد لم يترك
كبيرة ولا صغيرة من أخبار أبي تراب إلا عرفها، حتى لقد روهن فى هذا فقال
الرهان ، ولا يمكن أن ينتحل مذهبها لا يعرف تفاصيل سيرة صاحبه ، كما أن
الرسول الكريم يتحدث عنه القرآن بقوله « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت

من الخير « فأنى له العلم أن عليا سيرزق ابنا إلا إذا جاء ذلك على سبيل الأمانة ،
التي يرجى تحققها ، وما هذا الذي يدعيه السيد فاجرا في دعواه ؟ إذ يرى أن
هذا الذي نسب إلى رسول الله من التبشير بابن الحنفية بعض ما يجب على النبي
الصادق الكريم أدائه إذ يقول (مقال محمد فيما يؤدي) ؟

وما يروى عن السيد في سبيل الاستدال على إحاطته بحياة أمير المؤمنين
على كرم الله وجهه - أنه راهن جماعة من أهل الكوفة على فرس له إذا ذكروا
فضيلة لأمر المؤمنين لم ينشد فيها شعرا ، فصاروا يحدثونه فينشدونهم حتى جاءه
رجل منهم وقال : إن أمير المؤمنين عزم على الركوب فلبس ثيابه وأراد لبس
الحنفين فلبس أحدهما ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه ؛ فانقض عقاب من السماء
فخلق به ثم ألقاه ، فسقط منه أسود وانساب فدخل جحرا فلبس على رضى الله
عنه الخف وما كان السيد في حقيقة أمره ، قال في هذا الحادث شعرا ولعل له في
في ذلك عنرا سنينته بعد ، ولكنه أنشد دون ريث ولا توقف :

ألا يا قوم للعجب العجيب خف أبي الحسين وللحجاب
أتى خفاله وانساب فيه لينهش رجله منه بناب
نخر من السماء له عقاب من العقبان أو شبه العقاب
فطار به فخلق ثم أهوى به للأرض من دون السحاب
إلى جحر له فانساب فيه بعيد القعر لم يرتج بيباب
إلى آخر القصيدة ثم حرك جواده مزهوا معجبا ، وجعل للقصيدة بعند
ذلك مطالعا هو :

صبوت إلى سليمان والرباب وما لأخي المشيب ولا التصابي ؟
وما عليه لو أنه جرى في مطالعه على غير سنن شعراء ذلك العصر من الصبوة
بالغيد والتحسر على الشباب الوئيد ، ولا سيما أنه وفق في مطالعه المرتجل إذ نبه
إلى الصغى لذلك النبا العجيب ، يسقط العقاب على الحباب ، ونما يستوقفني في
تلك القصيدة قوله :

نخر من السماء له عقاب من العقبان أو شبه العقاب
 إنه يريد أن يزعم أن هذا الساقط من السماء ليس عقاباً حقاً، وإنما هو ملك
 جاء على صورته وشبهه، وأؤكد أنه يقصد ذلك وليس ذلك عليه بعزير، ولعل
 هناك من يحسن به الظن بعض الإحسان من ناحيته الدينية. فيرى أن استعصاء
 القافية هو الذى دفعه إلى هذه الشبهة، وهو إذ يجهل تلك الواقعة معذور غير
 معذول، فقد رويت عن رسول الله ﷺ، وسواء أكان وقوعها لرسول الله
 أم لعل. أم أنها موضوعة عليهما وهو ما يملأ نفسى، فالقصة فى ذاتها دليل
 قوى على سرعة بديهته، وتوقد قريحته، وتدفق شاعريته

شغل السيد بهذا النوع من الشعر القصصى، وبمدح ممزوج بالهجاء، أو بهجاء
 مختلط بالمدح، عن بقية أغراض الشعر فى ذلك العصر، ولولا غزل يقدمه بين
 غرضيه شأن شعراء عصره — لقلت إنه لم يشارك فى غيرهما من الفنون، ولو قد
 فعل لكان له بين الشعراء على الرغم من عدائه وحساده الأثر القوى المبين،
 ولكن منزلته مع تقصيره وقصوره كانت مكينة، وخطوته لدى أهل السلطان
 كريمة، إما لرضاهم عنه وحبهم عليه، فهو لسانهم الجرىء ومقوهم الصوال،
 وظهيرهم الجوال، ينافح ويكافح ويصاول ويجادل فى قوة وصرامة، وعنف
 وكرامة، وإما لمداراتهم له، وخشيتهم شره واثقائهم هجره، فمن لم يسلم من
 عقرة لسانه أجلاء الصحابة وفضليات أمهات المسلمين — لا يعبأ من لا مقام له
 إلى جنب أولئك السادة الغر الميامين من صحابة الرسول يسرقهم بلسان صارم
 ويرزؤهم بشعر حاسم؟ لذلك تلقى أحاديث شتى إن دلت على شئ فعلى ملق
 الناس له، ومداهنتهم إياه، يستوى فى ذلك أحباؤه وأعداؤه اللهم إلا المتزمتين
 من الفقهاء والمتأمنين من الأتقياء ممن خشى الله خشية أنسته نفسه، وخاف به
 خوفاً ملك عليه حسه، وهم قل منهم سوار بن عبد الله التميمي القاضى العادل،
 ومن يدرى؟ فلعله لو عرف أن سيصيبه من إشهار أعدائه للسيد ما أصابه

لكان بعرضه من الناجين ، ولما عرض درعه للسانه يقال منه ، وعدله لشعره
يعبث به ، ونسبه لتهكمه يتندر عليه ، ولكنه كان طيب السريرة فحنت عليه
طيبته ، حسن السيرة فأساء السيد لدى الناس سيرته

دعى السيد إلى شهادة بين يدي ذلك القاضى فاستعفى داعيه فلم يعفه ، فبذل
له المال استخلاصا لنفسه من الشهادة بين يدي من لا يثق بدينه فأباه ، وأصر
على أن يؤدى الشهادة التى من يكتمها فإنه آثم قلبه ، فتقدم إلى سوار وجلا ،
وشهد فقال له : أأست الحيرى ؟ قال بلى : قال القاضى : استغفر الله من ذنب
تجرات به على الشهادة عندي ، قم لا أرضى بك ، فقام من مجلسه مخنقا : إذ قد
نال منه أى نيل دون أن يجترح إثما أو يجترم جرما ، وليس هو بالخصر العي
الذى يخنع لمساءة ، أو يرضى بعدوان ، ولا هو بالحليم الذى يغض عن سفاهة
السفيه ، فكيف به يغض عن كلمة مصمية تصدر عن قاض لكلمته أعظم
الأثر فى النفوس ؟ لقد سعى به فى شعره لدى المنصور — وهو عنده العزيز
الاثير — دعا له ، ووصفه بالهدى والطاعة ، وبأنه يقود أمتة إلى النجاة يوم العرض
ثم نصحه بالآلا يستعين بسوار ، فهو رجل خبيث الرأى ظاهر الصلف ، كثير
النقص ، عظيم البطش ، وما هذه بصفات قاض يوكل إليه الفصل فى قضايا
المتقاضين ، وفيهم الضعيف لا يستطيع أن يرفع لديه طرفا ، والجبان لا يمكنه
أن يقيم حجة أو ينطق حرفا ، على أنه لا يجدر بالقضاء ولا يستأهل هذه
الصنيعة فهو ناشئ فى الصنعة ، وهذا بعض ما قال فيه يخاطب أولاد
المنصور .

قل للإمام الذى ينجى بطاعته يوم القيامة من مجبوحة النار
لا تستعين « جزاك الله صالحة » « ياخير من دب » فى حكم بسوار
لا تستعين بخبيث الرأى ذى صلف جم العيوب عظيم الكبر جبار

تضحى الخصوم لديه من تجربته لا يرفعون لديه لحظ أبصار
 تيهها وكبرا ولو ما رفعت له من طبعه كان دون الجائع العارى
 وكأني بالقاضى الورع يهرول إلى الخليفة مخنقا مغیظا، يستعديه على ذلك
 الفاجر الداعر، ينال من قاضى المسلمين ويذم على أمير المؤمنين ، ولا يرضى
 دون حد القذف لذلك القاذف جزاء ، فيبتسم له المنصور حيث كان ينتظر أن
 يريد ، ويهش إذ هو يتوقع العبوس ، فيعرف أن شكواه لم تصل إلى قلب
 الخليفة إن كانت قد وصلت إلى أذنه ، وقد كان ذلك حتما فإن المنصور قال له :
 أما بلذك خبر إياس بن معاوية (١) حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد من
 الشهود ، فما أخرجك للتعرض للسيد ولسانه ، ومن حقه حينذاك أن يرتب على
 كتفه مسترضيا بينا هو ينحى باللائمة عليه ، ويصفه بقلة الحنكة وعدم الدربة
 والقضاء يعوزه الحازم العازم والصارم العارم ، كما يعوزه كذلك الهين اللين
 الحول القلب ، وكأني بالمنصور أقر السيد على شعره وأن صلف سوار وتيهه
 واعتزازه بمكانته من الخليفة هو الذى حمله على عدم المداواة ، وربما كانت قلة
 كياسته وسياسته هى التى عرضته لما نزل به ، ولو أنه تصرف تصرف إياس
 لأرضى العدالة ؛ ولنجا بالكياسة ، ولقد كان المنصور مع هذا الذى قال يؤثر
 سوارا بحبه ، ويمنحه أوفى قسط من تقديره ، فهو الوحيد الذى جمع بين الولاية
 والقضاء ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يؤيد حجة السيد عليه ، بل قدح فيه حينئذ
 القصور بقصيدة منها :

إن الإله الذى لا شئ يشبهه أعطاكم الملك للدنيا وللدن
 أعطاكم الله ملكا لا زوال له حتى يقاد إليكم صاحب الصين
 وصاحب الهند مأخوذا برمته وصاحب الترك محبوبا على هون

(١) إياس بن معاوية قوة المرنى البصرى كان نادرة فى الفطنة والذكاء حسن التصرف بارع التخلص
 صادق الفراسة ، رافع الكياسة تولى قضاء البصر فى عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
 وتوفى سنة ١٢٢ هـ

والمنصور متهم بالجلال ، وبلغت إلى سوار بغتة وهو يعتقد أن في مثل
تهله ، فإذا به مربد غيظا . فقال له مالك ؟ أراك أمر ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين :
هذا الرجل يعطيك من لسانه ما ليس في قلبه ، وإن الذين يواليهم لغيركم ، فقال
المنصور مهلا : هذا شاعرنا وولينا ، وما عرفت منه إلا صدق محبة ، وإخلاص
نية ، وأتيح الكلام للسيد ورأى السكوت في مثل هذا الموقف حصرا وعيا
فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما تحملت غضكم لأحد ، وما وجدت أبوى عليه
فاقتنت بهما ، وما زلت مشهورا بما لا تكتم في أيام عدوكم . فقال المنصور
صدقت ، فاسترسل قائلا : ولكن هذا وأهله أعداء الله ورسوله قديما ، والذين
نادوا رسول الله ﷺ هن وراء الحجرات ، فنزل فيهم قوله تعالى « إن الذين
ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » ولم ير أن يقف عند هذا
بل قال في ذمة من قصيدة « مدح بها المنصور » ما كان سوار عنه في غنية تنقص
فيها حسبه ونسبه ، وطعن في ولائه وإخلاصه ومنها :

يا أمين الله يا منصور يا خير الولاة

إن سوار بن عبد الله من شر القضاة

نعشلى جملى لكم غير موات

جده سارق عز فجرة من فجرات

لرسول الله والقا ذقة بالمنكرات

وابن من كان ينادى من وراء الحجرات

مدحنا المدح ومن نر م يصب بالزفرات

فا كفنيه لا كفاه الله من شر الطارقات

ولعل القصيدة أكثر إقذاعا من هذا الذى روى ، ولكن تأثم الرواة

دفعهم إلى أغفاله ، فلقد شك سوار السيد إلى المنصور فأمره أن يعتذر إليه فهو

قاضى المسلمين وفيصل الدين القويم ، ولكن سوارا عاوده الخطأ فرفض المعذرة
فأنشد فيه :

أتيت دعى بنى العنبر أروم اعتذارا فلم أعذر
فقلت لنفسي وعاتبته على اللؤم في فعلها أقصرى
أعتذر الحر مما أتى إلى رجل من بنى العنبر ؟
أبوك ابن سارق عنز النبي م وأملك بنت أبي جحدر
ونحن على رغمتك الرافضون لأهل الضلالة والمنكر

وإن لمن الظريف في هذه الآيات قوله

أعتذر الحر مما أتى إلى رجل من بنى العنبر

فكأنى بالسيد يخشى اتهامه بالرق ويرمى به الناس قبل أن يرميه به أحد
فلقد كان أسود البشرة فيه كل صفات الأرقاء وسمات الغبيد، حتى لقد تحدث هو
عن ذلك في شعره فقال يمازج زنجيا

أعارك يوم بعناه رباح مشافره وأنفك ذا القبيحا ؟
وكانت حصتي إبطى منها ولونا حالكا أمسى فضوحا
فهل لك في مبادلتك إبطى بأنفك تحمد البيع الربيحيا ؟

ولقد صدق من قال في مثل السيد « رمتني بدائها وانسلت » ويروى الرواة
أن سوارا وقد ضاق بذلك « الحر » ذرعا ، ولم يعرف له من التخلص منه
وزرا ؛ إذ شكاه إلى الخليفة فلم يسمح منه سوى اتهامه في حكمته ، وأعاد الشكاة
إليه فأنبه في رفق ، وليس له بمساجلته السباب قدرة ، وهو كل يوم يأتيه من
فحشه بجديد ؛ يرون أنه دبر مكيدة لقطع يديه منهما بالسرقة ، وأعد الشهود
لإثبات التهمة ، فبلغت المكيدة السيد ، فأبلغها المنصور ، فدعاسوارا . وردده عن
الحكم للسيد أو عليه .

إنى أستبعد تلك الرواية بل أستنكرها ، لأن سوارا قاض عرف بالنزاهة

في الفعل والتأثم في القول ، ومن يرفض شهادة شاهد لأنه لا يثق به دون
أن يقيم الحجة على كذبه، لا يفتعل الزور ولا يدفع الناس إلى الوزر . وراوى
ذلك الخبر صاحب الأغاني، وجدير به أن ينصف منصف عثمان، فقد كان عثمانيا
كسوار، وليس من إنصافه في شيء اتهامه بتدبير المكائد ونصب الحبائل

ولندع سوارا وما نكبه به السيد من هجاء وبذاء غير جديرين برجل ثبت
وقاض عدل . وإمام حجة ، ولنعرض لآراء الشعراء والرواة لمنزلته في الشعر
فحكمهم له أو عليه حكم الخير البصير ، وسنترك من نعتقد أنه في حكمه
متحيف عليه، أو متحيز له، فما أحوجا إليهما قلة أحكام ، أو ضعف أحكام .

ذكر أحد الرواة أنه خرج إلى بادية البصرة فأنس به أهلها ، واستنشدوه
فأنشدهم لذي الرمة وجريروالفرزدق فعرفوهم دون تعريف، ثم أنشدهم للسيد :

أتعرف رسما بالسويين قد دثر عفته أهاضيب السحائب والمطر؟

وجرت به الأذيال ريحان خلفه صبا ، ودبور بالعشيات والبكر

منازل قد كانت تكون بجوها هضيم الحشاريا الشوى سحرها النظر

قطوف الخطا خمصانة بخترية كأن يحياها سنا دارة القمر

رمتني ببعد بعد قرب بها النوى فياتت ولما أقض من عبدة الوطر

ولما رأتنى خشية البين موجعا أ كفكف منى أدمعا فيضها درر

أشارت بأطراف إلى ودمعها كنظم جمان خانة السلك فانتثر

وقد كنت مما أحدث البين حاذرا فلم يغن عني منه خوفا والحذر

فجعل البداية يرقون لإنشادى ويطربون ، وسألوا عن الشاعر فأعلمهم ،

فقالوا هو والله أحد المطبوعين . لا والله ما بقى في هذا الزمان مثله .

وإن شاعرا يسمع هذا الشعر العذب ، والقصص السهل ، واللفظ الجزل

ليعتقد أن منبعه ذلك المدهين الغزلى، معين عمر بن أبى ربيعة ، فهو بشعره أشبه ،

فلو أن السيد شارك في جميع فنون الشعر - لآتى بالعجب العجيب ، ولأسبقاها

النطف العذاب، ولبذ لداته، وقهر عدااته، ولقد حمد الشعراء ربهم أن ترك لهم أغراضهم.

روى عن الفرزدق أنه قال: إن هاهنا لرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء، فسئل عنهما فقال: السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه. وهذا بشار زعيم المحدثين وإمام المولدين، يشهد للسيد شهادة الرجل العظيم لا ينكر على غيره عظمته، لأن سناءه وشرفه يمنعه أن يبخس الناس أشياءهم، فقد وقف السيد على بشار وهو ينشد مادحا فأقبل عليه وقال له:

أيها المادح العباد ليعطى إن لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت إليهم وارح نفع المنزل العواد

لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمى البخيل باسم الجواد

فسأل بشار عنه فقبل له، هذا السيد الحميري فقال: لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا.

تلك شهادة الشعراء فيه، يحمدون الله أن صرفه عن مجاراتهم في بحورهم ومساجلتهم في فنونهم، أما الرواة فقد كانوا عليه قساة مبغضين، يقلونه جهارا ويستطيئون قوله إسرارا؛ رأى الأصمعي جزءا من شعر السيد فسأله عنه فستر دونه لكرهه إياه، فأقسم على من معه الشعر أن يخبره حقيقة الشعر والشاعر، فأخبره فاستنشد قصيدة وقصيدة وثالثة ورابعة وهيستزيده ثم قال: قبجه الله ما أسلكه لطريق الفحول، لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقة.

وروى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وحكمه لا يقل عدالة وإنصافا عن حكم الأصمعي؛ وعلمه بلسان العرب علم ذي البصر والبصيرة، روى عنه أن صديقا زاره وعنده أجد بني هاشم يقرأ عليه كتابا فلها رآه أظفقه، فقال له

أبو عبيدة، اقرأ فإن صاحبنا ليس ممن يحتشم منه، فأخذ يقرأ فإذا هو شعر
السيد، وأبو عبيدة معجب به مستحسن له ثم قال: « السيد الحميري وبشار بن
برد أشعر المحدثين » .

وشهادة هذين فصل الخطاب؛ فقد اجتمع لهما ما لم يجتمع لغيرهما حدة
ذهن، وحديد بصر، وسعة علم، وصحة حكم، فإذا حكما لشاعر أو عليه فلا
معقب لحكمهما ولا راد لقضائهما، ولا سيما إذا كان المحكوم له ممن أبغضه
العامة، وقلاله أكثر الخاصة، فليهنأ السيد بحكمهما الخالد .

وإني لأرجو أن أكون قد عرضت حياة ذلك الشاعر وشعره عرضاً يرضى
الأدب ويسعد الأديب، كما يرضى الورع ويسعد الورع، فإن أكن قد نلت
ما أردت فله الحمد، وإن أكن قد قصرت فلي من الأدباء الغفر، ولي من
السيد على كل حال الشكر، فقد أحييت سيرته، وأشدت بشاعريته بعد أن طوى
عبقريته النسيان .

عبد العظيم علي قناوى

السمر الغريق ... أو

فتاة نهر السين

لهوستان محمد عبد النبي هـ صمه

عزوا في نهر السين من أهوام نليلة على جثة فتاة ، وعلى شفيتها ابتسامة حزينة ...
ولم يستطع المحققون أن يكشفوا سر غرق الفتاة ، فطواها النهر وطوى معها سرها .
وقد امتلأت معارض الصور والفنون في باريس وميونخ بألمانيا بصورة هذه الفتاة ،
وصنعوا لها هناك تماثيل صغيرة ، كانت تباع في كل مكان ، وسموها « المرأة المجهولة » .
ووحى هذه القصيدة هو صورة جميلة من مدينة « ميونخ » تذكر الشاعر دائماً
بفلسفة الحياة والموت .

ماذا رمى بك في بطون الماء	ومحا معالم وجهك الوضاء ؟
عقد الكرى في ناظريك سكوته	فارتحت من نصب ومن ضوضاء
نور الحياة — كما علمت — خديعة	فتمتعي في (السين) بالظلماء ...
ما هذه الدنيا وما ومضاتها	ألا مخايل خدعة ومراتي
شفتك تبتسمان عن سخرية	عينك تغتمضان عن إغضاء ...
تلك الحياة — وما أشد همومها —	هصرتك هصر العود في الأنواء
السمر في شفتيك مضموم على	جرح ومطوى على أدواء
وأكاد ألمح في جبينك طابعاً	وسمته قاسية يد الضراء
وأراك من حيث التفت مراثياً	مجهولة المعنى لعين الرائي
وذهبت فيك من الظنون مذاهباً	والظن أقصى غاية الحكماء
وأرى على شفتيك كبراً أن ترى	بهما ملامح ذلة وشقاء
غطيت من خلف ابتسامك قصة	ماذا يفيدك سترها بغطاء
حسرت فيك الضاربين بظنهم	وتركتهم في حيرة عمياء

وأثرت حولك للشكوك نواحيا وأطلت حولك ألسن الجهلاء
 من لي بكشاف الغيوب كشيقة ليزيح ما أخفيت من أنباء؟؟
 حار الفضوليون فيك وأمعنوا في الحدس والتخمين والآراء
 وافتن فيك المسرفون بظنهم ورُموك من جهل بهم وغباء
 وتأولوا فيك الحديث مذاها من غير ما حجل ولا استحياء
 هلاً شفيت بهم لواء عج صدرهم وأزحت عنك ستارة الإخفاء؟؟
 يانهر صدت على الليالي سرها وحفظت قصتها من الإفشاء
 ووعيت فيك - وأنت أوفى مودع - أغلى الضيوف وأكرم النزلاء
 غصن ثناه الموت في ريعانه وطواه ونهر يرف في الأنداء
 ما كاد يشرق للشباب وصبحه اللهاج حتى غاب في الإمساء
 يانهر في أطواء موجك سيرة قد لفها المجهول في الأحشاء
 وجدت بصدرك راحة في صدرها ورأت بمائك غسلا للداء
 والموت فيه من الحياة سلامة وشفاء من عاشوا بغير شفاء
 خط الجمال على جبينك مسحة بقيت برغم تقلص الأعضاء
 أعياء على الزمن المغير مسخها إن الزمان مشوه الأحياء
 فيها بقايا من جمال عابر وأثارة من فتنة ورواء
 عجلت في الدنيا نواك وربما كانت أمانى العيش في الإبطاء
 في الموت يا أختاه راحة يائس يقضى الحياة موكلاً بعناء
 إن الحياة على اختلاف جديدها دار الضيوف ومنزل الغرباء
 ما نحن في الدنيا سوى أقصوصة تتلى ومروى من الأنباء
 ناتي من (المجهول) غير خوالف ونعود (للمجهول) غير بطاء
 فإذا البداءة والمصير كلاهما لغز يحير أعظم الحكما.....

محمد عبد الفنى مصر

٢ - الف - لاسفة

للمؤستاذ عطينة السبخ

للفيلسوف خواص من حيث التكوين النفسى نجملها فيما يأتى :

١ - الفيلسوف لا يتوصل لمعرفة الحقائق إلا بالآفكار المجردة والعقل الحر، فهو لا يثق بالحواس ولا بالمحسّات، ولذلك ترى كل بحث فلسفى استطاع العلماء إخضاعه للآلات والحواس والقوانين قد طرحه الفلاسفة، لأنهم لا يهتمون إلا بالمعقولات المحض، فكما أن العلماء لا يشتغلون إلا بما يستطيعون إثباته حسياً أو بدهياً، لذلك ترى الفلاسفة قد تبرءوا من كل نوع من أنواع المعلومات التى خضعت للضوابط. ومن هنا ترى كثيراً من البحوث الفلسفية يصبح بعد زمن ما نظريات علمية، تدخل تحت اسم علم من العلوم تاركة آباءها الأولين من الفلاسفة، كأنما الفلاسفة هم الرواد والعلماء هم المستعمرون.

٢ - العاطفة عند الفيلسوف تكاد تكون معدومة، فهو لا يسير إلا برائد من تفكيره؛ ولذلك لا يتقيد الفلاسفة بالتقاليد القومية. ولا بالعادات الشائعة ولا بما تواضع عليه الناس وأقره العرف، فإذا كان الناس يستوحون البيئة والوراثة والتقاليد، فإن الفلاسفة لا يتقيدون إلا بوحى العقل ودافع الفكر وهم عبيد ما اعتقدوه ينفذونه وياخذون به من خير هوادة، مهما لاقوا فى سهيل ذلك من الصعاب الداخلية والخارجية، فالفيلسوف كما قال إميل فاكه

(يسهر الأغوار في طلب الحقيقة ، دون أن يبالي بما يعترض سبيله من مصاعب لأنه لا يرتاع من اصطدامه بالفجائع في قراراتها ، أو من انتهائه إلى لا شيء)
 أو كما قال نيتشه (لا يكفي الطالب الحقيقة أن يكون مخلصا في قصده ، بل عليه أن يترصده إخلاصه ، ويقف موقف المتشكك فيه ؛ لأن عاشق الحقيقة يهيم بها لذاتها ، لا مجازاة لأهوائه ، حتى ولو كان في ذلك مخالفا لعقيدته ، فإذا هو اعترضته فكرة ناقضت مبدأه ، وجب عليه أن يقف عندها فلا يتردد من الأخذ بها ؛ عليك أن تصلى نفسك كل يوم حربا ، وليس لك أن تبالي بما تجنيه من نصر أو تجنى عليك جهودك من اندحار ، فإن ذلك من شأن الحقيقة لا من شأنك) ويقول أبو نصر الفارابي (يجب على الفيلسوف أن يكون قد تقدم وأصلح الأخلاق من نفسه الشهوانية ، كما تكون شهوته للحق فقط لا للذة ، وأصلح مع ذلك قوة النفس الناطقة كما يكون ذا إرادة صحيحة) ومن هذا كانت الفلسفة عدوا للشعر ، وكان تعاطيها مفسدا للملكة الشعرية ، ولا سيما في الوجدانيات (إذ قد تكون مقبولة في الشعر الاجتماعي) هذا الهيام بالحق لذات الحق ؛ والتخلص من كل مواروث شائع — هو السبب في أن الفلاسفة يوصفون بالشذوذ في كل عصر ، فكيف يشابه الجمهور قوم لا يخضعون حتى للغرائز المشهورة بسطوتها ، فيحاولون إخضاعها لفكرهم ؟ .

٣ — الفيلسوف معتد بنفسه ، وليس معنى هذا أنه مغرور ، فإن الغرور والفتنة لا يجتمعان ، بل المراد أن الفيلسوف يشعر بشخصيته ، وأنه فرد مستقل عن سائر الأفراد ، وأن له عقلا من حقه عليه أن يستخدمه ، ويسير في ضوئه ويترك أضواء الآخرين ، وأنه غير مجبر على ترك تجاربه والأخذ بتجارب سواه ؛ فاعتماده بنفسه إنما هو بالنسبة إلى غيره من الادميين ، لا بالنسبة إلى الحقيقة ذاتها ، يقول نيوتن (إن العلم بحر ونحن لانزال نلعب على شاطئه) ويقول سقراط (لا فرق بيني وبين الناس ، إلا أنني جاهل وأشعر بجهلي ، وهم

جهلاء ولا يعلمون أنهم جهلاء) وقال حكيم عربي (لا يزال المرء عالما ما شعر بجهله ، فإذا ظن أنه علم فقد جهل) والاعتداد بالنفس هو الذي يدفع الفيلسوف إلى التفكير في كل شيء ، ويجعل عقله في حركة مستمرة ، فيأبى إلى أن يسير في طريق جديدة غير مألوقة ، مهما كلفه ذلك من المشقات ، بل إنه يجد فيها بصادفه من المشقات لذة ، كلذة سعى الحبيب إلى بيت حبيبته ، تكتنفه الظلماء ويترصده الرقباء .

٤ — الفيلسوف لا يبحث إلا في المبادئ الأولى للمعرفة والنظريات الكلية ، أما تفاصيل العلوم الخاصة فهو لا يهتم بها ؛ لأنه مشغول بالوصول إلى الحقيقة الكبرى ، فهو إذا آمن بكلية من الكليات ، اتخذها مقدمة للوصول إلى حقيقة فوقها ، ولذلك عرف ديكرت الفلسفة ، بأنها معرفة المبادئ الأولى ولذلك كانت الفلسفة لا تتأق إلا لذوى الذكاء الشديد ، فقد قال الفريد بنبيه (إن الذكاء إنما يظهر في التصرفات التي تحتاج إلى بناء وتركيب) فعقلية الفيلسوف ممتازة بقوة الربط بعد حسن التعليل ، وبقوة التجنيس والتصنيف بعد كثرة الجمع ، وإذا كان غير الفيلسوف وعاء لعدم ، فالفيلسوف لا يعرف إلا علما واحدا ، ولكنه حاز للمبادئ الأساسية لكل العلوم ، فأرسطو هو المعلم الأول للفلاسفة والعلماء ، وما يؤسف له أن هذا المعنى للفيلسوف قد تغير في هذا العصر ، الذي سادته روح التخصص والتقسيم ، فأصبح الفيلسوف يسعى إلى معرفة حقائق جزئية في علم خاص ، فهذا الفيلسوف في الرياضة ، وذلك في التاريخ ، وذلك في الطبيعة .. الخ ، وإنما هذه هي مهمة العلماء لا الفلاسفة ، لأن الفيلسوف يجب أن يكون مشغولا بحقيقة واحدة ، تدور في ذهنه من حولها كل النظريات ، فالفيلسوف قائد والعلماء جنود ، وإذا نسي القائد مركزه العام وانهمك في ناحية خاصة ، ضل الجيش كله ، وخسر خسرانا مبينا ، فهذا التخصص في الفلسفة الذي أودى بالمثل العليا في هذا العصر ، وحرر مناظير أمثال سقراط

وأرسطو وأفلاطون ، الذين لانزال عيالا عليهم في مناهج الفلسفة ومبادئها ، وإذا كان الفيلسوف المختص يبتكر نظريات أكثر ، فإن المعارف الإنسانية مهما كثرت لن تستطيع حل المشكلة الكبرى التي فكر من أجلها الإنسان . مادامت مقطعة الأوصال غير متساوية ! فالفلسفة من شأنها أن تأخذ بزمام العلوم ، وتوجهها وتفتح أمامها الآفاق ، وأن تخدمها العلوم لا أن تصبح هي خادمة لها .

هـ — الفيلسوف يشعر في أول حياته العقلية بنقص عن الناس في التفكير ، وذلك لأنه لا يشعر بالفهم إلا إذا كان البرهان دقيق المنطق ، والعلل والمعلولات مستقيمة ، فهو باستعداده الفطري لا يهضم الخطأ ، وأما غيره من الناس فيقتنع بالفهم السطحي ، ولا يقوى فكره على كشف المغالطات الكامنة في المسائل ، وعند ذلك يرى الفيلسوف الصغير جميع من حوله مرتاحين للسألة ، مدعين فهمها ، ثم ينظر هو إلى نفسه فيجد الفهم مستحصيا عليه ، والمعاني قلقة في ذهنه ولحسن ظنه بالناس إذ ذاك ، يسيء الظن بنفسه ، ومن عناية الله به وتوفيقه له أن يذهب هذا المذهب ، لأن ظمأه إلى الحقيقة من جهة ، وشعوره بالنقص من ناحية أخرى ، يدفعانه إلى إدمان النظر ، وطول السهر ، واحتمال الضجر ، حتى يصل إلى مراتب رفيعة في التفكير ، ومن كرسية العالی ينظر حوله إلى الناس ومعارفهم ودعواهم نظرة شك وارتباب . فيطرح كل ماتعلمه منهم على الغربال ، ولا يثق إلا بتفكيره هو ، ويأخذ على عاتقه مهمة المعلم لهؤلاء الضالين ، ليبين لهم وهمهم ، ويصل بهم إلى الصواب . كما كان يفعل سقراط ، وإنك لا تجد عبقريا إلا كان يشعر بالنقص وهو صـغير ؛ فكل فيلسوف لابد أن يمر بطور الاستضعاف ، ثم بطور الاعتداد بالنفس ، ثم بطور الشك في كل شيء ، ولذلك مامن فيلسوف إلا اتهم بالإلحاد ؛ فالعلة التي حوكم من أجلها سقراط ، لازمت جميع الفلاسفة ، غير أن هناك فراقبين شك الفلاسفة وشك السفسطائيين

فالفيلسوف يشك ليصل إلى الحق من طريق قوينة ، وأما السفسطائي فغاياته المغالطة والشك لذات الشك .

٦ — أغلب معلومات الفيلسوف ذاتية ، أعنى أنه وصل إليها بمجهوده هو ولذلك ترى لكل فيلسوف شخصية تميزه كل التميز ، حتى لو اشترك فيلسوفان في رأى واحد ، لبس كل معنى من نفس صاحبه ما يخلع عنه مظهر النقل والأخذ فأعدى أعداء الفلسفة التقليد والتطفل ، وهو إذا تعرض لأراء الناس ، فإنما يتعرض للوازنة والتقد ، فكل ما عرف الفيلسوف من المعلومات عن غيره ليس له في نفسه إلا قيمة المشخذ بالنسبة إلى السكين ، وإذا أعجب الفيلسوف برأى لغيره ، أو وجد ، يحل مشكلة عجز هو عن حلها ، نقل لبناته وأضاف بها حجرة إلى قصر معرفته ، وأعطاه صبغته الخاصة وطريقته في البناء ، بحيث لا تبدو غريبة عنه ، بل ممتزجة ببيته كل الامتزاج ، ولذلك يمتاز الفلاسفة عن غيرهم بقوة الإيمان بأرائهم ، والتفانى في سبيلها كما يتفانى الأب في حب أبنائه ، ولذلك ترى رغبة الفلاسفة في التفكير المباشر أكثر من رغبتهم في قراءة آراء غيرهم ؛ بل إن الفيلسوف لا يقرأ الكتب إلا للترفيه عن نفسه عندما يضمنها القراءة في كتاب الكون الأعظم ؛ فالفيلسوف لا واسطة بينه وبين أستاذه الكون ، يترجم ما يوحى إليه منه ، كما يبلغ الرسول الوحي عن ربه .

٧ — الفيلسوف حاد الذهن ، قوى الملاحظة ، واسع الفكر ، ولذلك ينقل ذهنه كل ما يرى ، ويضبطه ضبطاً تاماً ، فهو من هذه الناحية كالشاعر ، إلا أنه لا يقف عند حد الامتزاج بالكون ، بل يرقى بنفسه عن ظواهره ليقف منه موقف التاجر من سلعته ، والراعى من شويهاته ، فالشعر هو الخطوة الأولى للفلسفة في الأفراد والأمم ، ولذلك كان أكثر الفلاسفة شعراء ، كما قال مؤرخو الفلسفة « إن شعراء اليونان الأوائل كهوميروس وهزiod ومزمم الأزميري وأرسيلوك ... الخ هم الذين مهدوا الطريق للفلسفة اليونانية ولا سيما بعد أن بدأ

الشعراء الحكماء يدونون خواطرهم وتأملاتهم ، والشعر الاجتماعي وسط بين الفلسفة والشعر ، كالشعر الأوروبي الحديث

وقد حدث بعض المتصوفين قائلًا: إنه تدرج من الشعر إلى الفلسفة ومن الفلسفة إلى التصوف ، ويحسن في هذه النقطة الإشارة إلى أن عقل الفيلسوف لا يشيخ فهو في اتساع ورقى باستمرار ، وكأنه المعنى بقول الإمام علي « كل إناء يضيق بما يوضع فيه ، إلا إناء العلم ، فإنه يتسع » فعقول الناس كأجسامهم ، تخضع لقانون الصعود ثم الهبوط ، إلا عقول الفلاسفة ، فهي في صعود مستمر ، من حيث الدنو إلى الحقيقة ، كلما طلع على الفيلسوف يوم وجد نفسه في أفق أعلى من سابقه ، كطائر كلما على نبت له ريش جديد . يساعده على العلو ، وكذلك يتصل بهذه النقطة سرعة فهم الفلاسفة لأراء غيرهم ، لأن كثرة تجوالهم الفكري يجعل كل نظرية لغيرهم قد مرت عليهم ، فيفهمون مراد غيرهم من الإشارة الأولى ، ويكرهون الإطناب في الكتابة أو النقاش .

٨ - أسلوب الفلاسفة غامض لا لغموض المعاني واستغلاقها عليهم ، ولا لما ذهب إليه الغرابي (من أنهم يتعمدون ذلك لثلاثة أشياء ١- استبراء طبيعة المتعلم ، هل يصلح للتعليم أم لا ؟ ٢- لئلا تبذل الفلسفة لجميع الناس ، بل لمن يستحقها فقط ٣- لترويض الفكر بالتعب في الطلب) ، كلا بل لأنهم يقيسون فهم الناس بفهمهم ، وقد تعودوا أن تكفيهم الإشارة ، ولأن ما يتناولونه معقولات مجردة من الحس والزخرفة ، ولأن معلومات الفيلسوف قد تطورت وبعدت عن معقول الناس ، لأنه بناء مستمر في البعد عن الأساس والتحليق إلى أعلى ، فالذي فكر فيه الفيلسوف طويلا وأصبح عنده بديهية ، يضح أن يتخذها مقدمة في برهانه وفرضا في إثباته ، هي نفسها لا تزال شيئا جديدا عند الناس يحتاج إلى الجدل ، فكانما أصبح بين أفكار الناس وأفكاره حلقة مفقودة ومن هنا مل الناس قراءة الفلسفة وأبغضوا الفلاسفة ، وأصبحت كتب الفلسفة

خاصة بالفلاسفة ، مع أن العلم والشعر وبقية الفنون للجميع ، ألا ترى أن تقدير الفيسوف والانتفاع بآرائه يحدث بعد زمن طويل .

٩ — الفيلسوف سابق لزمانه ، بل إن الفلاسفة غير مقيدين بزمان ، فما دامت الموضوعات التي يعالجها الفيلسوف عقلية محضا ، فإنه لا فرق بين فلسفة سقراط من حيث الكيف ، وبين فلسفة يكون ونبتشة وشوبنهاور ، ومهما اختلفت الموضوعات والنظريات فهي من حيث العلو والجدوة متشابهة ، لا تبلى ولا تهرم ، بعكس النظريات العلمية التي يهدم بعضها بعضا كل يوم ، ولذلك لم يخطئ الفلاسفة إلا فيما تناولوه من الموضوعات العلمية ، فأراء أرسطو في الجغرافيا يسخر منها الآن صغار التلاميذ ، ولكن آراءه الفلسفية المجردة لا تزال لها قيمتها ، بل لا تزال أساس الفلسفة إلى اليوم .

١٠ — الفلسفة بنت الألم ، فهو أكبر دافع إلى التفلسف ، وقد يكون هذا الألم شخصا منشؤه الأسرة أو الحب أو الصحة أو المال .. الخ وقد يكون قوميا منشؤه تألم المرء لحال قوم ، وقد يكون منشأ الألم البيئة الطبيعية ، وعدم انسجامها مع مزاج الشخص ، وكذلك عصمت هذه الديار عن أن تنجب فلاسفة ، وانعدم المزاج الفلسفي من المصيريين ، مما كان له أسوأ الأثر في سيرهم ، فأصبحوا متشابهين في آمالهم المادية ، كأنهم نسخ مطبوعة لكتاب واحد ، فلو تقصيت عقولهم لما شعرت بشخصيات مختلفة ، والسبب في ذلك خلو هذه الديار من دواعي الحزن والألم ، فالخيرات كثيرة ، والجو معتدل والخضوع للحاكم كان قد وقر في أذهانهم منذ آلاف السنين ، فهم عبيد لا يتبرمون من أفعاله ، فاحي الألم من الأشخاص وضاق الفكر ، وانعدم التفلسف . ولعل هذه النهضة الأخيرة . التي أشعرتنا بعيوبنا ، وأنارت عقولنا وألفت بين قلوبنا ، وذكرتنا بماضينا فتألمنا لحالنا — تساعدنا على تكوين طبقة

من الفلاسفة ، يسعون وراء المثل العليا ، وتشرق عليهم الأنوار المقدسة ،
ويسرون في وسط هذا المجتمع الراكد ، بشعلهم السماوية ، مناضلين بإيمان
لا يتزعزع عن الحق ، ليصلحوا من نفوس هذه الأمة ما أفسده الدهر ، ويمنعوها
من الركون إلى كل موروث رث ، ويحاربوا الاطمئنان إلى معلومات كلها
خرافات وترهات ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

عطية السنج
معلومات القبة

تيسير اللغة العربية وتهذيبها

للمؤلف: الأستاذ محمد علي الدسوقي

المقدمة

إصلاح اللغة العربية وضبطها لا يعدو ان مرحلتين عظيمتين ، قام أسلافنا بالمرحلة الأولى منهما وكفونا مئونة البحث فيها ، وكانوا عليها حفاظا وعلى تنسيق اللغة فيها حراصا . وأعنى بها أدوار تهذيب اللغة وتنقيحها . وأعنى بالثانية ما نعانيه الآن من كثرة اللحن والتحريف ، وشحذ الهمم ، وتضافر القوى ، وحفز القرائح لتلاقيهما . وما نراه من حشد وزارة المعارف جميع قواها للقضاء على الأمية ، وتيسير تعلم اللغة العربية ، وضبطها بكافة الوسائل الممكنة وما يبتكره أبناء دار العلوم ، وما يستوفزون به من هممهم وأفكارهم للوصول إلى هذه الغاية من أقرب طريق .

المرحلة الأولى

قد عني الأقدمون بتهذيب اللغة وتنقيحها ، وقد تم ذلك في أربعة أدوار .
(١) فأول تنقيح دخل اللغة العربية كان بعمل يعرب بن قحطان ، رأس العرب العاربة ؛ وجرى أولاده على لغته في أنحاء اليمن كلها ، ثم تفرق جماعة منهم في نجد والحجاز وتهامة والشأم والحيرة .

(٢) الثاني كان من عمل إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام ، فإنه لما أصهر^(١)

(١) أصهر أى تزوج .

إلى قبيلة جرهم ، أدخل تنقيحاً ثانياً في اللغة ، وجرى على أثره القبائل من أولاده كربيعة ، ومضر وكنانة ونزار ، وخزاعة وقيس وضبة .

(٣) والتنقيح الثالث أدخلته قريش بالتدريج ، انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفقد عليهم في كل عام ، وتمكث بين ظهرانيتهم نحو خمسين يوماً ؛ منها ثلاثة أيام بسوق ذي المجاز ، وسبعة بسوق مجنة ، وثلاثة بسوق عكاظ ، وعشرة في مناسك الحج .

(٤) والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصريين البصرة والكوفة نقلة اللغة في عصر الأمويين والعباسيين ، وقد قصرُوا اختيارهم على القبائل الست الآتية :-

قال السيوطي في المزهرة نقلاً عن أبي نصر الفارابي : كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إيابة عما في النفس ، والذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : (١) قيس ، (٢) وتميم ، (٣) وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذوا معظمه ، وعليهم اتكل في الغريب ، وفي الإعراب والتصريف ، (٤) ثم هذيل ، (٥) وبعض كنانة ، (٦) وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ؛ وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من لحم ، ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقيط ، ولا من قضاة وغسان ، وإياد لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقيط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان ، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ،

ولا من بنى حنيقة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم
تجار اليل المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة (١) الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة
ضادفوقهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت
ألسنتهم ، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها
علما وصناعة — هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب .

المرحلة الثانية كثرة اللحن والتحريف وإصلاحهما .
لم يكن اللحن والتحريف وليدى القرون المتأخرة ، فقد بقي التغيير في
اللغة العربية مقصورا على الأمصار الإسلامية إلى انتهاء القرن الثالث الهجري ؛
وقد عرف بعضهم المولد بأنه ما يكون من هذا الضرب لحناً وتحريفاً ، وكانوا
يسمون الألفاظ التي من هذا القبيل بالسوقية ، لأنها لغة أهل الأسواق
والتجار الذين يأتون من كل فج ؛ وآخر من يعتد بكلامه من الشعراء بشار
ابن برد ، وهو بصرى قدم بغداد وأصله ، من طخارستان من سبي المهلب بن
أبي صفرة ، وكان أكمه (ولد أعمى) وكان يمدح المهدي ، وتوفي سنة ١٦٧ هـ
وقد نيف على التسعين .

وقد عني العلماء قديماً وحديثاً برد العوام عن تحريف الكلم ، وألفوا في
ذلك كتباً شتى . ككتاب أبي عبيدة ، وأبي حنيفة الدينوري ، وأبي عثمان
المازني ، وأبي حاتم السجستاني ، وكتاب الفاخر المفضل ، ولحن العامة للقراء ،
وهؤلاء لم يتعدوا المائة الثالثة ، ولم يعدوا في صنيعهم ألفاظا حرفت بها العامة ،
ثم تعدوا ذلك إلى التأليف في لحن الخاصة بعد القرن الثالث ، ككتاب
أبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ودرة الغواص في أوهام الخواص .
للحري ، لأن اللحن إذ ذاك كان يؤخذ به خواص الكتاب لا عوامهم .
لأن أولئك العوام صار اللحن لغتهم .

وقد ألفت في إصلاح العامي والدخيل كتابي المسمى (تهذيب الألفاظ العامية) وهو جزءان الأول ٣٢٤ صفحة ، والثاني ٣٧٨ صفحة . وقد أخذت بجمع فؤاد الأول على عاتقه مهمة إصلاح العامي والدخيل ، وترجمة الاصطلاحات العلمية ، وبقي أكثر من خمس سنوات يواصل البحث والتنقيب ، وقد صدر من مجلة هذا المجمع أربعة أعداد حافلة بما قام به أعضاؤه من مجهود ، وقد عنيت وزارة المعارف من ناحيتها بإصلاح مناهج اللغة العربية وتيسير تعليمها على أقوم طريق ، وقد جعلت رائدها الاكتفاء من القواعد بما تدعو إليه الضرورة ، وعدم شحن أذهان الطلبة بالكثير الصعب من القواعد الذي يصرفهم عن الرغبة فيها ، وعنيت بتأليف الكتب الشائعة السهلة الأسلوب ، المتينة التراكيب ، التي تمثل السهل الممتنع ، ولا تزال جادة في هذه السبيل بخطى موفقة ، مؤدية للأمانة التي أوثمت عليها ، والتي وضعتها الأمة في عنقها .

المبحث الأول

في سهولة تعلم اللغة العربية وضبطها على أبناء العرب الأول .
كانت اللغة العربية في زمن الجاهلية والصدر الأول من الإسلام غضة الشباب ، سليمة الإهاب ، لا يعتورها لحن ولا تحريف ، وقد بقيت في ريعان شبابه إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين ، لأن الأبناء كانوا يتلقونها عن الآباء ، ولم يكن ثمة بينهم دخيل تفسد لغتهم أو يشوبها بلحن أو تحريف ، وقد ظهر قليل من اللحن في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد ورد أنه من يقوم يرمون فاستقبح رميهم فقال ، ما أسوأ رميكم ، فقالوا : نحن قوم (متعلمين) فقال عمر : لحنكم أشد على من فساد رميكم .
وهذا إنما حصل من الموالى والمتعربين ، لصعوبة تمييزهم أحوال المثني والجمع في الرفع والنصب والجر ، كما يصعب ذلك على المتعلمين ^(١) منا الآن ،

(١) المشتغلين بالتعلم

وقد ورد أن كاتباً لأبي موسى الأشعري، كتب إلى عمر: (من أبو موسى الأشعري)، فكتب عمر إلى أبي موسى: عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطاً .

ويظن أن هذا أول لحن وقع في الكتابة . ولما رأى الإمام على كثرة اللحن، خشي على كتاب الله أن يمسح التحريف، فوضع القواعد الأساسية لعلم النحو، وعلّمها أبا الأسود الدؤلي، وقال له « انح هذا النحو » فسمى هذا العلم علم النحو، ثم كتب في هذه الصناعة الناس من بعده . إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد أحوج ما كان الناس إليها، لذهاب ملكة الإعراب من العرب، فحزب الصناعة وكمل أبوابها، وأخذها عنه سيبويه فأكمل تفاريعها، واستكثر من أدلتها وشواهداها .

المبحث الثاني

في سبب اختلاف لغة الكتابة عن لغة التخاطب عند الأمم

المتعربة، وعدم اختلافها عند الأوربيين

من الحقائق المقررة، أن الأمم الأوربية يتخاطبون ويكتبون بلغة واحدة، إلا في النادر، أما الأمم المتعربة، فلغة الكتابة عندهم — وهي الفصحى — تخالف لغة التخاطب — وهي العامية . وهذه سبب لتلك الأمم لا خلاص لهم منها، ولا معدى لهم عنها إلا ببذل الجهود الجبارة، وتضافر القوى على توحيد اللغة، وقد استشرى هذا الداء، وتغلغل في الأمم العربية حتى امتزج بلحمها ودمها، وظن المتشائمون أن من يحاول انتشار هذه الأمم من هذا الداء الوبيل، كمن يحاول التعلق بخيوط الشمس، أو كمن ينقش في الهواء، أو يكتب على صفحات الماء، وقالوا: أنى للغة إصلاح وقد صوح^(١) نبتها، وأفل نجمها؟ وفي الحق، أن الأمة العربية الصحيحة براء من هذه الوصمة، فقد بقيت

تتكلم وتكتب بلغة عربية صحيحة ، إلى قبيل انتهاء القرن الثاني الهجري ، ثم فشا اللحن والتجريف ، ودب الفساد في اللغة بين المتعربين ، حتى اتسعت شقة الخلاف بين الفصحى لغة الكتابة ، والعامية لغة التخاطب ، وما زالت تنفرج مسافة الخلاف بينهما إلى هذا العهد . في الأقطار التي افتتحتها الدولة العربية ، مثل مراکش والجزائر وتونس ، وبرقة ومصر والشام والعراق ، حتى عم الفساد البلاد العربية نفسها ، وهي الحجاز واليمن ، ما عدا بعض القبائل في نجد والعسير من أعمال اليمن ، فإنها بقيت محافظة على لغتها إلى اليوم ، تتكلم وتكتب بلغة عربية صحيحة ، ما عدا بعض هفوات قليلة ، وقد رأيناهم باعيننا وسمعناهم بأذاننا ، وقرأنا أشعار الأئمة منهم ، فإذا هي لا تختلف عن أشعار المتعلمين في الصحة والضبط .

وقد رأينا مسافة الخلاف تضيق الآن بين العامية والفصحى ، ولا سيما في مصر والشام والعراق . بفضل نشر الثقافة والتعليم في ربوع تلك البلاد ، فإذا أخذت بقسط وافر من العلم والأدب ، ونبغ فيها الكتاب المجيدون الذين يشار إليهم بالبنان ، مثل المويلحي والمنفلوطي وحفني ناصف والسيد توفيق البكري ومصطفى الرافعي وطه حسين وحسين هيكل والمازني ، وغيرهم ممن تصبغوا بالأدب ، وحازوا في مضماره قصب السبق ، وظهر فيها الشعراء المبرزون في حلبة الشعر ، كأمر الشعراء أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وخليل مطران ، ومعروف الرصافي ، والبارودي ، وإسماعيل صبري ، والجارم ، والعقاد ، ومصطفى الرافعي ، وأحمد رامى ، وغيرهم من فحول الشعراء الذين ذاع صيتهم في الآفاق ، وتغنّت بشعرهم بلابل الروض في كل مكان .

ولا يزال التعليم في مصر من إلزامي وابتدائي وثانوي وجامعي يهدم من صرخ العامية ويشيد من صروح العروبة الفصحى ، ولا يمضى ربح من الزمن حتى نرى بناء العامية قد انهار ، وقامت على أنقاضه العربية المهدبة شياخة

البنيان ، متينة الأركان ، حتى تعود إلى سالف مجدها ، وتليد عزها ، كما كانت في عهد الدولة الأموية ، وصدر الدولة العباسية ، زمن المهدي والرشدو المأمون والمعتصم ، حقق الله الآمال ، إنه هو الكبير المتعال .

المبحث الثالث

(في أسباب صعوبة ضبط اللغة العربية على المتعربين)

(وسهولة ضبط اللغات الأوربية على المتعلمين)

قد امتازت اللغة العربية على سائر اللغات بالدقة والاختصار ، لأن الحركات فيها تدل على كثير من المعاني نحو الرفع الدال على الفاعلية ، والنصب الدال على المفعولية . وضم التاء في نحو قلت الدال على المتكلم ، والفتح الدال على المخاطب المذكر نحو ذهبت ، والكسر الدال على المفردة المخاطبة نحو حضرت . وكذا التقديم والتأخير ، نحو إياك نعبد ، فإن التقديم هنا دال على اختصاص المخاطب وهو الله بالعبادة ، وبعض الحروف ، كلام التوكيد ولام القسم ، لأنه يستغنى بها عن ألفاظ آخر ، فلام التأكيـد تغنى عن أو كـد ، ولام القسم تغنى عن أقسم ، فلذلك كانت الملكة العربية أدق الملكات وأصعبها على غير أهلها ولزيادة الإيضاح نقول :

يستدل على المحكوم عليه في اللغة العربية بأحد أسلوبين : الأول تقدم المحكوم عليه ، ويسمى مبتدأ ومسنداً إليه ، نحو قولك محمد عالم ، فقد حكمت له بالعلم ، أو أسندت إليه ؛ والأول أسلوب الثاني تأخير المحكوم عليه وهو المسند إليه ، وتقديم المحكوم به أو المسند وهو الفعل وشبهه ، نحو قولك سافر محمد . ونحو أجتهد أخوك ؛ فقد حكمت على محمد بالسفر ، واستفهمت عن اجتهاد أخي المخاطب ، ولو وقف الأمر عند هذا الحد لم يحصل لبس ولا صعوبة في تمييز المحكوم عليه عن المحكوم به ، ولكن في الأسلوب الأول

قد يتقدم المحكوم به على المحكوم عليه لا غراض مرغوبة ، تجعل للكلام دقة وروعة ، كالاتهام به وانصباب القصيد عليه في نحو قوله تعالى : « أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم » فإن الاستفهام التعجبي واقع على ما بدا من إبراهيم من الرغبة والانصراف عن آلهتهم ، لا على ذات الفاعل .

ولو قيل : « أنت راغب عن آلهتى يا إبراهيم » ؟ لكان التعجب واقعاً على ذات الفاعل ، ولأفاد الكلام أنه لو كانت الرغبة من غيره لما تعجب منها ، ونحو قول الشاعر :

غافل أنت والليالى حبالى بصنوف الردى تروح وتغدو
فإن القصد منصب على غفلة المخاطب عن صروف الزمان ، لا على نفس المخاطب .

نعم لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ إذا خفيت الملاحظة وحمل اشتباه ، كأن يتساوى كل منهما في التعريف أو التنكير بدون مميز يميز الأول عن الثانى ، نحو قولك : أخى أخوك ، فيجب أن يكون الأول هو المحكوم عليه (أى المبتدأ) ويلزم تقديمه ، ولا يجوز تأخيره ، فهذا مثال المتساويين في التعريف ، ومثال المتساويين في التنكير قولك لآخر : أفضل منك أفضل هنى فيجب أن يكون المحكوم عليه (أى المسند إليه) هو الأول ، ولا يجوز تأخيره .

وفى الأسلوب الثانى ، قد يصحب الفاعل المفعول به ، فيحتاج القارىء قبل أن ينطق بهما إلى ملاحظة ، أن الأول هو الفاعل الذى وقع منه الفعل ، وأن الثانى هو الذى وقع عليه الفعل ، ثم يرفع الأول وينصب الثانى ، فإذا سها عن هذه الملاحظة وكان المفعول به مقدماً على الفاعل ، وقع فى الخطأ ، فرفع الأول وهو المفعول به ، ونصب الثانى وهو الفاعل ، ولا سيما إذا كان المفعول به ليس فى آخره ألف ولا فتحة تدلان على نصبه ، بأن كان ممنوعاً من

الصرف ، نحو أكرم عمر محمد ، أو مقصورا ، نحو أكرم موسى محمود ، فإذا أراد أن يسلم من الخطأ ، نظر أولا إلى الاسم الثاني وفهم المعنى من سياق الكلام ، ثم نصب الأول ورفع الثاني ، وخلص من هذه الورطة .

ولهذا نجد كثيرا من المبتدئين يقعون في مثل هذا الخطأ ، ولا يجديهم ما تعلموه من القواعد نفعاً ، في مثل هذه المواقف التي يزل فيها كثير من المتعلمين أيضاً .

نعم قد احتاط النحويون فمنعوا تقديم المفعول به على الفاعل إذا حصل اشتباه بينهما ، بأن كان الإعراب لا يظهر على كل منهما ، نحو أكرم موسى عيسى ، فأوجبوا أن يكون الأول هو الفاعل والثاني هو المفعول به ، ولا يصح أن يكون موسى مفعولاً به مقدماً ، للاهتمام به مثلاً ، لعدم ما يدل على ذلك في اللفظ .

سبب ضبط اللغات الأوروبية

سببه أن للدلالة على المحكوم به والمحكوم عليه — صيغة واحدة في اللغتين الإنكليزية والفرنسية مثلاً ، وذلك أن المحكوم عليه يتقدم دائماً على المحكوم به وهو الفعل ، ثم يليهما المفعول به ، فلا يحصل اشتباه ، فإذا أردت أن تعبر عن إكرام محمد لعلي قلت : محمد أكرم علياً ، لا تتعدى هذا الأسلوب أضف إلى ذلك أن الحركات فيها يستدل عليها بحروف في صلب الكلمة ؛ فلا يقع من القارئ أى اشتباه في النطق ، لاني وسط الكلمة ولا في آخرها ، ويقوم مقام الإعراب عندهم حروف تدل على الرفع والنصب والجر ؛ والتنوين يكتب نونا ، ولذلك كثرت حروف الكلمة عندهم ؛ حتى صارت ضعف حروف الكلمة العربية .

ولكن تعدد الأساليب في اللغة العربية لا يعد عيباً حقيقياً ، لأن فيها من

الأساليب ما في اللغات الأوربية وزيادة ؛ فإذا أراد المتكلم أن يأتي بأسلوب سهل المتناول ليس فيه اشتباه على السامع ، قدم المبتدأ ووسط الفعل ، وأتى بعدهما بالمفعول به ، كما في اللغات الأوربية ، فبدلاً من أن يقول رأى يوسف عمر سائراً أمام الحديقة . قال : يوسف رأى عمر الخ .

وقد تعددت أساليب اللغة العربية واعتراها التقديم والتأخير في مفرداتها تبعاً لأغراض شريفة ، صار كل بليغ بها حفيماً ، وهذا لا يعد دليلاً على ضعف تراكيبها ، وصعوبة تأليفها ، بل ينهض برهاناً على اتساع مواردها ، وسهولة التصرف فيها يشق الأساليب ، ليختار المتكلم أشدها وقعا في النفس ، وروعها عند التخاطب ، وأقربها لمقتضى الحال ، حتى تخلب اللب ، وتأسر القلب ، ولهذا السبب عجز فطاحل الكتاب الأوربيين وغيرهم عن ترجمة القرآن الكريم ، والإتيان بتركيب في لغاتهم ، لها من الروعة والإعجاز ما لتركيب القرآن ، وأناى لهم ذلك وقد أعجز بأسلوبه ومثانة تراكيبه أمراء البلاغة ، وفرسان الرهان من العرب الخلفاء ، الذين كانت تسجد لبلاغتهم الحياه ويستوقف بيانهم القلوب ويملاء الأسماع حلاوة ، وحسن طلاوة .

وبهذا سقط القول بأن صعوبة اللغة العربية ناشئة من أن الإنسان يفهم أولاً ليقرأ .

أما في اللغات الأوربية . فإن الإنسان يقرأ ليفهم ، فقلت علمت أن هذا خاص ببعض التراكيب ، وأن المتكلم له مندوحة عنها متى أنس من السامع أو القارئ المبتدئ اشتباها ، ففي الحديث الشريف : « أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم » وقالت العرب « لكل مقام مقال » وللخريف من اللبس ترى العامة في الغالب يجعلون تراكيبهم مكونة من المبتدأ والخبر ، لا من الفعل والفاعل فيقولون « محمود حضر ، لا حضر محمود ، لأنهم يقفون

على المنصوب بالسكون على لغة ربيعة، فيشتبه المفعول بالفاعل إذا قالوا «كلم محمود محمد، مثلاً».

ولما كان التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر عن موضعهما الطبيعي يوجب الاشتباه، ما لم يميز أحدهما عن الآخر - عدوه من الإخلال بفصاحة الكلام، واعتبروا الفصل بينهما بكثير من المتعلقات موجبا للتعقيد المعنوي وأكثر ما يكون ذلك في الشعر، لأن الوزن يحتم على الشاعر أن يقدم بعض المتعلقات وغيرها عن موضعها، ليستقيم له الوزن كقول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً
فإن نظم البيت - لكثرة التقديم والتأخير يوهم أن خبر الناس (هو الجار والمجرور) في قوله للناس، كما يقال الناس بالناس، أو أن الخبر هو جملة (بعضهم لبعض). والحقيقة أن (خدم) خبر بعض والجملة خبر الناس، والرابط محذوف، والتقدير بعضهم لبعض، والجار والمجرور في قوله للناس متعلق بمحذوف حال من الناس، أي الناس حالة كونهم مجاورين للناس، ومن بدو وحاضرة بيان للناس، ويصح أن يكون (بعض) بدلاً من الناس بدل بعض من كل، (وخدم) خبر الناس، والرابط محذوف، أي بعضهم وبعض متعلق بخدم فلو أراد الشاعر أن يؤدي هذا المعنى في ثبوت لقال: الناس للناس من بدو وحاضرة بعضهم خدم لبعض وإن لم يشعروا، ومثله قول الفرزدق (١)

وكل رفيق كل رحل وإن هما تعاظى القنا قوماهما أخوان
فإن نظم البيت يوهم لكثرة التقديم والتأخير - أن خبر كل الأولى هو جملة (قوماهما أخوان) والحقيقة أن خبره أخوان، و (قوماهما) فاعل تعاظى و (القنا) مفعول مقدم.

(١) هذا البيت من قصيدة يخاطب بها ذئبا عشا إلى ضوء ناره فأطعمه من طعامه ومنها

تمشي فإن عامدني لا يخوتي فيكون كن ياذب بصطحيان

والمانع من إرادة المعنى الأول ، وجعل الخبر جملة (قوماهما أخوان) -
 أمران : أحدهما معنوي ، وهو أن المقصود كون الرفيقين أخوين لا قومهما
 فقد يكون القومان آخرين ، وبعض أفرادهما أعداء ، فالمعنى عكس هذا ، وهو
 أن رفيق الرجل أخوان ، وإن كان قوماهما متحاربين ؛ والآخر لفظي وهو
 أنه لو أراد المعنى الأول لثنى الفعل (تعاطى) وقال : وإن هما تعاطيا القنا ،
 لأنه عائد على مثنى وهو (هما) فيجب إلحاق علامة التثنية به ، أما إذا كان
 قوماهما قاعلا ، تجرد الفعل من علامة التثنية ، تبعا للقاعدة المقررة من أن الفعل
 إذا أسند لاسم ظاهر مثنى أو جمع - جرد من علامة التثنية والجمع .
 ولو أنه كان في حل من وضع الألفاظ موضعها في نثر لقال : وكل رفيق
 كل رحل أخوان وإن تعاطى قوماهما القنا .

المبحث الرابع

(في ضبط اللغة بطريق التلقين وكثرة المطالعة لا بكثرة القواعد)
 إذا أردنا أن نرجع باللغة العربية إلى نشأتها الأولى وعهد الغابر ، من
 سهولة النطق بها وصحة ضبطها ، فعلينا أن نتبع ما كان يربب به العرب
 أبناءهم ، وما كانوا يفعلونه في تلقينهم اللغة ، وتغذيتهم بها مع ألبان أمهاتهم قبل
 أن يغادروا المهد ، وما كانت المرأة ترقص به طفلها وهو لم يفارق بعد حجرها
 كقول امرأة من العرب وهي ترقص ابنها

أنت تكون (١) ماجد نبيل إذا تهب شمال بليل
 فن لنا بأمهات يناغين أطفالهن بالعربية الفصحى قبل أن يدرجوا من
 عشهم ، حتى تختلط بلحمهم ودمهم ، وتجري منهم مجرى النفس في الحناجر ،
 فلا تتحرك شفاههم إلا بها ، ولا تنطق ألسنتهم إلا بالإعراب عنها ، ومن لنا
 بآباء فصحاء أمناء على تلقين أبناءهم صحيح اللغة منذ نعومة أظفارهم ، حتى يشبوا

(١) تكون زائدة

خطباء مفوهين يهزون أعواد المنابر ، ويقودون الأمة ببلاغتهم إلى أسى المفاجر ويكون منهم الشعراء المفلقون ، والمحامون المداره ، والمربون المهدبون الذين يسمون بلغتهم إلى سالف مجدها ، وغابر عزها ، ولا يتوهمن متوهم أن هذا عسير متى تضافت عليه الأمة وشدت إليه عزائمها .

وأصدق مثل على أن هذا في حيز الإمكان ما سمعته من قاضى قضاة مصر (١) فقد رأيت أنه ينطق العربية الفصحى بدون تكلف . وسمعت ابنه وهو غلام لا يتجاوز الثانية عشرة ينطق بالفصحى بحجة ، (إنه لم يلقن غيرها ، ولم يختلط بأحد يتكلم العامية حتى يفسد عليه لغته ، فقد قال لى والده : إنه لم يرسله إلى أية مدرسة ، بل أحضر له المعلمين من كل صنف ، ولا ينطق والده أمامه إلا باللغة العربية الفصحى أو التركية ، ولا والدته إلا بالتركية . فلذا نشأ في بيئة سليمة من لهجات العامة .

وهاك مثلاً آخر ، وهو أنى التقيت بجماعة من الأتراك المجاورين بالأزهر ، في نزهة عند قصر النيل ؛ فرأيتهم يتكلمون باللغة العربية الفصحى ، فجارتهم في الكلام بها معهم ، ولم ألاحظ عليهم اللحن أو التحريف إلا في القليل النادر . وهاك مثلاً ثالثاً وهو أنى اجتمعت ببعض الوافدين على الأمير سعود ولي عهد المملكة السعودية ، أيام كان ضيفاً على الحكومة المصرية ، وكنت ألقيت قصيدة أمامه ترحيباً بقدومه ، فلما ألقىتهم في مسجد السيدة زينب بعد صلاة الجمعة جالسين بجوارى ، عرفوني فكلّموني بلسان عربى فصيح ، دل على أنهم أخذوا اللغة الصحيحة تلقيناً ، ولم يتلقوا شيئاً من قواعد النحو أو الصرف ، لأنهم من تجار البدو ، فما علينا إلا أن نحذو حذوهم ، ونلقن أبناءنا اللغة الفصحى ونجنبهم العامية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وإذا تندر هذا على عامة الشعب ؛ فليكن منا طائفة من الأدباء والمعلمين ، يروضون أبناءهم على اللغة الفصحى من مبدأ نشأتهم .

محمد على الدسوقي

(١) هو القاضى يحيى آخر قضاة الدولة العثمانية فى مصر .

خيال بدوي مصنوع

أو

مع الطغرائي في وصف هاجرة وورد

بقلم

الأستاذ السباعي بيومي

مدرس الأدب بدار العلوم

لم ينس شعراء المدن وقد بعدوا عن البادية وهجيرها ونسوا ما كان من
رحلة رواحلها وورود مياهها ، بما أصبحوا فيه من نعيم الحضرة وخفض عيشه
والمتعة بآيات طبيعته وألوان حضارته ؛ أقول لم ينس هؤلاء أن تكون لهم
جولات بعيدة المدى فيما كان لأسلافهم شعراء البدو من تناول أوصاف البداوة
الصرفة . في أشعار يحكمون فيها الصنعة ، ويجيدون المحاكاة ، حتى لكأنهم في
البادية نشئوا ، وعلى رمالها درجوا ، وبسمومها أجرها فحوا ، فنال منهم الصدى
منالاً ، وأوقد في صدورهم حر الظمأ نارا ، فكان لظفرهم بالماء يقعون عليه في
غدير أو بئر - فرح أيما فرح ، وابتهاج ليس من فرقه ابتهاج ، فهو الظفر بالبقيا
على حياة كادت تودي . وروح ما كان أو شكها أن تزهق .

وللطغرائي الأستاذ المنشئ ، والشاعر المتصرف ، البعيد في سنيه عن

العهد الجاهلي ، فهو من شعراء العصر العباسي الرابع ، والبعيد في مسترطنه عن مضارب البداوة وخيام الأعراب ، فهو من أهل بغداد - جولة من هذه الجولات في وصف هاجرة وورد ، افتتح بها قصيدة من مدائحه لنظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي ووزير ابنه ملكشاه من بعده ، أحسن فيها الوصف وأجاد التصوير ، فأبدع بنسج خياله مالم تبدعه ريشة مصور صناع ، ثم خلاص منها إلى ما أراد من مدح خلوصا نجيا ماهرا ، في حسن سبك وبراعة انتقال . تصور نفسه وصحبا من صحابه ، على أقتاب الأبل وأكوار الرواحل ، يقطعون هاجرة سجراء حامية ، قد اشتد لهبها حتى أكل الظل وسود الحصى وأصاب الجنادب - وهي في الحر ترح وبه تنشط وله تنشد - بالرمض يحرقها وينكي بها ، بل إنها أصابت بجرها المنعكس ، الشمس وهي منبع الحرارة ومصدر الإحراق ؛ بما أروعها وآذاها ، فعادت تفزع إلى خيوطها تبعث بها وتدليها ، إلى مافي المذائب والجداول من نطاف المياه وصافياتها ، لتمتاع من ربا هذه وتلك ، ما نرتد به إلى الشمس معجلة لتدفع حر الهاجرة عنها ، وتنفس عن خناقها ماضيق عليه من لأوائها .

وصف تلك الهاجرة بما وصف ثم عاد يقول ، ولقد كان شأننا مع تلك الهاجرة أن لطمنا بها وجه النهار لظمة سودته ، ونالت من فوقه ناصيته ، غير هيا بين سيرا ولا خائفين حرا ، وكأن النهار أراد أن ينتقم لتلك اللظمة منا فأفرغنا وراعنا بالهجوم بنا على ليل منقب الوجه بالسواد ، حالك الظلمة في مغربه ، وسحره شاحب المنظر كريهه ، ولكننا اقتحمنا هذا الليل بجرأة المقدام البطل ، في ظلمته الكثيفة ، حتى على مرتفعات الآكام في عليائها ، وفي منكبيه القريب أولهما من ذهب الأصيل ، وثانيهما من لآلء الفجر .

وما زلنا مقتحمين ذلك بعد سير هاجرة في سري ليل . حتى وردنا سحيرا حيث علقت أيدي الكواكب بالغرب تتعلق به للغروب في أدبار الليل ، وحين

جذبت جذبة من الشرق رداء الظلمة عن الصبح فتعري منسكبه ، وعنان ستائر ما
فتزحزحت عن بعض منافذ الضوء غياهبه .

يقول ومازلنا كذلك حتى وردنا فيما صورنا من وقت ، غديرا مجلو الصفحة
مشرق الديباجة كأنه مرءاة الغريبة التي لاناصح لها في تفقد زينتها سواها ،
فهى دائما كقرص الشمس نصاعة وإشراقا ، لاتزال أنفاس الرياح الغرائب
تلتقى بجانيه ، تستمد منه روحا ينفس عنها مالقيت من القيظ ، لترتد نسيما
مروحا بعد أن كانت سموما لا فحا ، ثم هو مستكن حيث يقع فى بطن هضبة
عالية تتصيد له السحب الماطرة ، تمده بمائها وتسكب عليه من غيثها ، فخر ذراها
الشاحنة لاتزال ترشف ريق المزن وظلم السحب ، وكلما قبلت من الحيا أفلاذه
ألقت بها إلى هذا الغدير ليكنسها فى أرجائه الطامية بكثرة مائه ، ويصبها على
أحجاره الخضراء لاستدامة امتلائه ، فهو لذلك جم الماء غزيره تقابل منه نبال
المطر إذا تساقطت على صفحته ، قوة رد وشدة احتمال فلا تؤثر فيه الاهونا
ولا يهتز إلا اهتزازا خفيفا سهلا ، يشكل سطحه بشكل الدرع القوية النسيج
حتى لكأن هذا السطح مدارج نمال على أديم رمال ، أو هو شجاع بطل
ارتدى درعه ليتقى بها تلك النبال .

ثم عاد إلى رواحه التي رحل عليها يقول ، إنها كانت عيسا أى إبلا بيضاء
فرقنا ببياضها الظلماء ، وكانت فى شدة نحو لها وقوة حصافتها وأيدها كأطراف
القرون أو أصابع الأمشاط ، وأنها حين أبصرت الغدير وقد أخذ منها الظمأ
مأخذه ، أقبلت عليه فى حر العطش تجتذب ماءه الصافى دون أن تمس مشافرها
سطح الغدير فاذا هو بينها وبين صفحة الماء سيوف بيضاء لامعة ، وإذا هى كأنها
تغمد بمشافرها تلك القواضب اللامعة فى أعناقها ، على أن فيها طائفة رأت فى
سنا الفجر وقد تلاءم ببياضه وزرقته ، مورد ماء فى زرقته وجمامه ، فارتابت
فيه عيونها ، فقمحت عن لجة الغدير الحق وأسرعت مولية طامحة إلى

منبعث الفجر تظنه ماء آخر ترده وتعب منه ، وما زالت في هذا الشك المريب الذى سحر عيونها فجعلها تظن الفجر مشربا وما هو من المشارب فى شئ ، حتى أخذت غزالة السماء تمد بقرنها ليطلع وتهيب بشعاعها أن ينفذ فاذا بالقرن يبدو فى الوجود ناجما ظاهرا وإذا بالشعاع ينفذ وضاء ماتعا كما يبدو وجه نظام الملك بين مواكبه مشرقا مسفرا فتزلى الظلمة وينقطع الشك ، ومن هنا يبدأ الطغرائى فى وصف ممدوحه بعد هذا التخلص الممتع الجميل بما لا شأن لنا به فيما أردنا من موضوع .

وبعد

فهذه مقطعة الطغرائى التى حاولنا فيما أثبتنا آتينا تصوير موضوعها ورسم خيالها ، تتراءى كلوحة لا تبلغ مبلغها كما قلنا ريشة مصور صناع لهذا المنظر البدوى الجميل ، قال :-

وهاجرة سَجَرَاءَ تَأْكُلُ ظَاهِهَا مُلَوَّحَةَ الْمَعْزَاءِ رَمَضَى الْجَنَادِبِ (١)
ترى الشمسَ فيها وهى تُرْسِلُ خَيْطَهَا

لَتَمْتَحَ رِيًّا مِنْ نِطَافِ الْمَذَانِبِ (٢)
سَفَعْنَا بِهَا وَجْهَ النَّهَارِ فِرَاعِنَا بِنُقْبَةِ مُسَوِّدِ الْمُقَادِمِ شَاحِبِ (٣)
فَلَمَّا اعْتَسَفْنَا ظِلًّا أَخْضَرَ غَاسِقَ عَلَى قَمْعِ الْآكَامِ جَوْنَ الْمَنَاكِبِ (٤)
وَرَدَّنَا سُحِيرًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَقَدْ عَلَقَتْ بِالْغَرْبِ أَيْدَى الْكُؤَاكِبِ (٥)

(١) السجراء الحامية ، وملوحة المعزاء مسودة الأرض ، ورمضى الجنادب محروقتها .

(٢) تمتاح تمتقى ، ونطاف المذانب المياه الصافية للجداول .

(٣) سفعنا لطمنا وسودنا ، والنقبة اللون الأسود والمقاديم الأطراف والشاحب المتغير .

(٤) اعتسفنا افتحمتنا ، وقمع الآكام مرتفعات الهضاب .

(٥) كناية عن قرب انتهاء الليل .

- على حين غرَّتْ مَنِكَبَ الصَّبِيحِ جَذْبَهُ
 من الشرق وأَسْتَرْخَى عَنَانَ الْغِيَاهِبِ (١)
 غديراً كَهَرْمَاءِ الْغَرِيبَةِ تَلْتَقِي
 بِصَوْرِ حَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْغَرَائِبِ (٢)
 بِمُنْعَرَجٍ مِنْ رَيْدِ عَيْطَاءٍ لَمْ تَزَلْ وَقَائِعُهَا يَرُشِفْنَ ظُلُمَ السَّحَابِ (٣)
 وَتَقْبَلُ أَفْلَازَ الْحَيَا وَتَكُنُّهَا
 بِطَاطِمِيَةِ الْأَرَجَاءِ مُخْضِرِ النَّصَائِبِ (٤)
 إِذَا مَا نَبَالَ الْقَطْرِ تَاحَتْ لَهُ أَنْتَقَى
 بِمَوْضُوعِهِ حَصْدَاءَ مَنْ كُلُّ جَانِبِ (٥)
 بِوَيْسِ كَأَطْرَافِ الْمَدَارِي نَوَاحِلِ
 فَرَقْنَا بِهَا الظُّلُمَاءَ وَوَحَفِ الذَّوَائِبِ (٦)
 نَشَجْنَ بِهِ عَذْبًا مُنْقَاخًا كَأَنَّمَا
 مَشَافِرُهَا يَغْمَدُنْ بِيضَ الْقَوَارِصِ (٧)
 رَأَيْنَ جِهَامَ الْمَاءِ زُرْقًا وَمِثْلَهَا
 سَنَا الْفَجْرِ فَارْتَابَتْ عُيُونُ الرَّاكِبِ (٨)
 فَكُنْ قَامِيحٍ عَنْ لَجَّةِ الْمَاءِ طَامِيحٍ
 إِلَى الْفَجْرِ ظَنَّ الْفَجْرَ بَعْضَ الْمَشَارِبِ (٩)
 إِلَى أَنْ بَدَأَ قَرْنُ الْغَزَا لَمَّا تَعَا
 كَوَجْهِهِ نِظَامُ الْمُلْكِ بَيْنَ الْمَوَاكِبِ (١٠)

السباعي بيومي

(١) الغياهب الظلمات وعنانها زمامها . (٢) الصوحان الجانبان . (٣) الريد الجرف والعيطاء الهضبة
 ووقائعها حفرات مرتفعاتها . (٤) أفلاذ الحيا قطع المطر ، كناية عن غزارة الماء واستدامته (٥) الموضوعة
 الدرع قوية النسيج . (٦) العيس الإبل البيض ، والمداري أطراف القرون والأشواط ووحف الذوائب
 غزبتها . (٧) نشجن به شرين منه . (٨) جهام الماء جمع جم وهو الكثير الغزير . (٩) القامح المتراجع
 والطامخ الذاهب . (١٠) يقال تمتعت الشمس إذا بلغ ضوءها أوج قوته .

مسابقة اللغة العربية

عمل غير مفهوم

لأستاذ صبر قطب

المفروض أن فكرة هذه المسابقة قائمة على غرض ترقية مستوى الأساتذة والطلبة ، واللغة العربية ذاتها . والمفروض كذلك أنها تقوى نواحي الضعف التي لمستها الوزارة عن طريق مفتشيها وسواهم في مدرسي اللغة العربية . فهل تحقق المسابقة على أساسها الحاضر - هذا الغرض الذي شرعت من أجله ؟ وإذا حققت جانباً منه ، فهل تحقق بقية الجوانب ، ومن أفضل طريق ، وأقصر طريق ؟ وإذا كانت لا تحقق هذا الغرض ، فما الطريق التي يجب أن تنحرف إليها لتحقيقه ؟

هذا هو موضوع مقال اليوم ، مجرداً عن جميع الاعتبارات الأخرى ، التي قد تكون كامنة وراء هذه المسابقة أو غير كامنة .

أستطيع أن أفهم أن هذه المسابقة لم تقرر ارتجالاً ، فالارتجال عمل لا يليق في تصرفات لا تختص بمربي الذئب ، وبجو أساتذة وتلاميذ ، وبمستقبل أمة ونفسية جيل .

فلا بد إذن أن تكون هناك أبحاث دقيقة ، واقتراحات كثيرة ، غربت هذه الاقتراحات ، حتى انتهت إلى فكرة المسابقة ، ثم نظر طويلاً في شكل هذه المسابقة ، ووزنت أغراضها ، ثم اختير لها هذا الشكل الأخير .

بمثل هذه الدقة وعلى هذا الأساس أحاول أن أبحث المسألة وفي الوقت
متسع للتبديل والتحسين .

أنا لا أميل إلى فكرة الترفع عن دخول المسابقات، وانتقاد المبدأ في ذاته،
وما أمسكنى عن التقدم إليها في الماضي أو التفكير في التقدم إليها مستقبلا مثل
هذه الفكرة، بل أنا أميل إلى أن تكون المسابقات هي الوسيلة الأولى لكل
تعيين وكل ترقية في جميع وظائف الدولة، حرصا على العدالة، وقطعا للشكاية
وحفزا للهمم وتجديدا للثقافة .

إنما أمسكنى ويمسك كثيرين من زملائي الممتازين في بيئتهم الخاصة وفي
الوسط العلمي والأدبي العام، أننا نرى المسابقة تؤدي بنا إلى غاية ليست جديرة
بالزمن الذي ينفق فيها، ولا ترتفع بمستوانا العقلي ولا المادى شيئا .

فهل صحيح أولا أن النقل من مرحلة التعليم الابتدائي إلى مرحلة التعليم
الثانوي ترقية تستدعي النجاح في مسابقة؟ وهل في هذا النقل ميزة أدبية
أو مادية؟

وهل صحيح ثانيا : أن مواد الاختبار في هذه المسابقة خليقة أن ترتقي
بمستوى المدرس، وتجعله جديرا بالترقية، إذا ثبت أن في النقل إلى الثانوي
رقيا؟ وجديرة بأن تعطينا المدرس الممتاز الذي نريده؟

فأما الجواب عن السؤال الأول فبالنفي قطعاً، وليس في الثانوي إلا العناء
والجد المضاعف الذي ليس له مقابل من المال . والمال عصب الحياة، ومذلل
الجهد، والعوض القريب عن الضنى الذي يعاينه المدرس المغبون .

أما المجد الأدبي في الثانوي فلن يهفو إليه إلا من لا يجد لهم في حياتهم
العادية، أى الذين لا امتياز لهم بين إخوانهم ولا بين الناس، وهؤلاء طبعاً
لن يرتقوا بالتعليم . أما الذين لهم شيء من المجد الأدبي والعلمي نتيجة لتفوقهم
فلن تهفو نفوسهم إلى هذا المجد الضئيل في الثانوي . وهم لهذا لا يتقدمون .

للمسابقة ، فيضيع غرض الوزارة من اختيار أصح العناصر لهذا التعليم .
وأما الجواب عن السؤال الثانى فيطلب نظرا أوسع وبحثا أوفى .
أول ما يجبه الناظر فى مواد هذه المسابقة أن الفكرة متجهة إلى اختبار
المدرسين فى معلوماتهم اللغوية وفى تاريخ آداب اللغة العربية . وما عدا هذا
فهو هوامش للمسابقة غير مقصودة . وإن ظن أنه روعى فى مسابقة
هذا العام .

وهذا التوجيه يكون مفهوما فى حالة واحدة ، وهى حالة وقوف الوزارة
عن طريق مفتشيها وسواهم على ضعف المدرسين فى مادتهم وعدم استطاعتهم
الإحاطة بالمعلومات التى كلفوا تدريسها لتلاميذهم .

ولتحقيق هذا الغرض أفهم أن توضع إحصائية عن خمس سنوات مثلا
من تقارير المفتشين ، فيثبت منها أن نحو ٥٠٪ من مجموعة المدرسين فى الثانوى
ضعاف المادة ناقصوا المعلومات المدرسية .

ولكننى أستطيع أن أعلم أن مثل هذا البحث لم يلتفت إليه ، وأعلم كذلك
أن ضعف المادة لم يكن مبعث شكوى أحدهم المفتشين إلا نادرا بين عشرات
المدرسين .

فإذا ثبت هذا فقد سقط الأساس الذى قامت عليه المسابقة فى وضعها .
وقد أفهم أن تكون هناك شكوى من عدم متابعة المدرسين للقراءة وعدم
وقوفهم على آخر الخطوات فى نظريات التربية والتعليم ، وفى الأدب والآراء
الأدبية ، وفى المعلومات العامة الحديثة المتناثرة حول الاجتماع والسياسة
والكشفوف ؛ التى تجعل من المدرس إنسانا حيا يعيش فى عصره .

كما أفهم أن تكون هناك شكوى من عقليات المدرسين — وفرق بين
المعلومات والعقلية العامة — نتيجة لإهمال الاطلاع ، أو لعدم النضوج ذهنى
والشخصى .

وسبيلنا إلى تقوية هذا الضعف وعلاجه ، وإلى اختيار أصلاح العقلية
والشخصيات ، وأدومها للاطلاع والثقافة ، ليس هو السبيل الذي تختطه هذه
المسابقة في وضعها الحاضر . إذ قصارى ما تعطينا : مدرس قرأ بضعة كتب ،
وحصل بضع معلومات ، وكان من السهل علينا أن نجده في المتخرجين من دار
العلوم إذا راجعنا درجاتهم في امتحان الدبلوم في المواد المختلفة .
والثمن الذي تؤديه لاختيار هذا المدرس بالمسابقة ثمن باهظ يعتبر إسرافا
وتضحية لا مقابل لها . فنحن سنكلف عددا من المدرسين في القسم الابتدائي أن
يزحموا وقتهم بالمطالعة المملة ، ويبذلوا جهدهم في المراجعة التافهة ، ويقصروا
إلى حد قليل أو كثير - في واجبه لتلاميذهم ، ونهبط بمستوى الجهد الذي
يبذلونه للتعليم الابتدائي . ثم لا نجنى مقابل هذا كله إلا مدرسا من معدن
رخيص ، كنا نستطيع أن نجده في كل مكان ، وبدون امتحان .



وحتى لا يؤخذ على أنني أهدم ولا أبنى ، فإنني أدل على الطريق الذي
يضمن اختيار أنقى العناصر ، وأحسن العقلية ، وأكمل الشخصيات .
فأقترح .

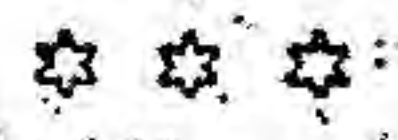
أولا : أن يحذف من المسابقة كل ما يرمى إلى استعادة دراسة الكتب
النحوية واللغوية وكتب دراسة تاريخ الأدب التي سبقت دراستها هي أو نظائرها
في مدرسة دار العلوم ، لأن هذا عبث ضائع ، وجهد مكرور .

ثانيا : أن تضمن مواد الاختبار ما يكفل استدامة المدرس للاطلاع على
الحركات الأدبية والعلمية والاجتماعية والدراسات النفسية في مصر خاصة
والعالم عامة ، واختبار أثر هذا الاطلاع في عقلية العامة وفي تكوين الشخصية
المثقفة .

ثالثاً : (وهو أهم ما يضمن لنا اختبار العقلية وثمرتها الشقاقة) أن تشتمل المسابقة على تقديم رسالة في فن من فنون اللغة العربية المختلفة ، يناقش فيها المدرس ، فتبين ثمرة اطلاعه ونوع عقليته ، واتجاهه الذهني . وعلى أساس هذا الاتجاه يمكن أن نختار له المواد التي يدرسها في المدارس الثانوية .

ولكن هذا الاقتراح لا يكون كاملاً ، ولا يكون هناك ما يغري الممتازين حقيقة من المدرسين بالإقدام عليه ، إلا إذا انتهى بهم إلى وضع أدبي ومادي خير من وضعهم الحالي . وهم كما قدمت لا يعتبرون النقل إلى التعليم الثانوي في ذاته ميزة تهفو إليها نفوسهم . بل أنا أعلم أن كثيراً منهم يعتبره غرماً على وقتهم وجهدهم ، واطلاعهم الحر الذي تألفه نفوسهم . وإن بعضهم ليرفض — لو استطاع — أن ينتقل إلى التعليم الثانوي حتى بدون مسابقة ولا اختبار ، نظراً لهذه الاعتبارات .

فتكملة لاقتراحى أرى أن تكون ثمرة قبول الرسالة منح صاحبها درجة علمية أرقى من دبلوم دارالعلوم ، تقابلها درجة مالية مقررة لهذه الدرجة العلمية في ذاتها ، بغض النظر عن نوع التعليم الذي يقوم به المدرس بعد ذلك ابتداءً أو ثانوياً أو عالياً . وإن بعض الممتازين ليسم جدلاً بأن يمنح هذه الدرجة وتلك ثم يقوم بعمله في المدارس الأولية ورياض الأطفال ، فلا تعنيه هذه الشكليات الجوفاء . والذين ينظرون هذه النظرة هم الذين نستطيع الاعتماد عليهم في تحقيق مثانا العليا بين أوساط المعلمين .



وبعد ، فأحب أن أنظر إلى هذا المشروع من زاويتين أخريين . فأنا أفرض أن المسابقة على هذا الوضع أو ذاك قد حققت لنا معرفة أصح العناصر في أوساط المدرسين ، فهل من المصلحة أن نختار هذه العناصر

كلها للتعليم الثانوي ، وألا ندع المدارس الابتدائية إلا العاجزين عن اجتياز الاختبار .

وكيف تكون الحال في المدارس الابتدائية حين تحرم من كل عنصر صالح ، وحين يشعر المدرسون ونظارهم وتلاميذهم كذلك أن في هذه المدارس نهاية المدرسين العجزة ، وحين ينظر كل مدرس بالمدرسة الابتدائية إلى مدة وجوده بها نظرة المستعد لمبارحتها الذي لا يعمل على إجادة عمله بها في ترقية أو تحسين حال ، لأن اعتماده كله على اجتياز المسابقة ؟

أهذه حالة تصلح معها الدراسة في المدارس الابتدائية ؟ وإذا لم تصلح هنا فكيف ينتظر لها الصلاح في المدارس الثانوية ، وهذه تبني على أساس من تلك ؟

هنا تبرز أهمية الاقتراح الذي أسلفته ، وهو ألا يكون الغرض من اجتياز المسابقة على النظام الذي أوضحته هو النقل إلى الثانوي ، بل ترقية مستوى المدرس علميا وماديا على أن يسند إليه عمل في أية مرحلة من مراحل التعليم . وأنا أفرض مرة أخرى أن المسابقة على هذا الوضع أو ذاك قد حققت لنا اختيار الأصلح ، فإذا يضمن لنا استمرار اطلاعه فيما بعد وقد وصل إلى الغاية التي يبتغيها ؟ .

هنا كذلك تبرز أهمية اقتراحي السابق عن طريق المسابقة لأنها لن تحقق لنا معلومات مخبوءة أو مفهومة ولكنها تحقق لنا شخصية مثقفة وعقلية ممتازة ، تحمل في ذاتها ضمان الدأب والمثابرة على الاطلاع حبا في المطالعة لا رغبة في تحقيق غاية قريبة .

ومع هذا فيجب تنظيم محاضرات عامة في أشهر الصيف يقوم بإلقائها كبار الالساتذة في مختلف نواحي النشاط الفكري ، يقف المدرسين على آخر

ما وصلت إليه الأفكار في العالم، ويكون للدأب على حضور هذه المحاضرات نصيب في تقدير المدرس والنظر إليه

بمثل هذا التفكير يصح أن تساس شئون منشئ الجيل، وبعد طول الروية والأناة، وحسن الاختيار والتوجيه، فالارتجال قد يصلح لكل شأن، إلا لشئون المدرسين.

سبح قطب

في الريف :

على ضفاف الغدير

للسيد محمد غنيم

جنباني خليج بحر الروم وفقا بي على ضفاف الغدير
هاهنا الغيد في ائتلاق النجوم نحن حول المياه مثل الطيور

هن أقبلن باسمات الثغور ثم شمرن كل ذيل عفيف
يا لها من طهارة في سفور جمع الطهر كله في الريف

قد كشفن الذبول عن سيقان أرأيت الدمى وهن عواري
وتقدمن في خطى متوان يترجحن خيفة التيار

رفعت ذيل حالك في السواد عن حواشي مورد اللون دام
فإذا طى هذه الأبراد شفق لاح تحت جنتح الظلام

فإذا مارأيت رأى العين منظر السوق غص في الأمواج
قلت واد أديمه من لجين نبتت فيه غابة من عاج

ركعت كل غادة هيفاء كركوع البتول في المحراب
فأنت ظل وجهها في الماء ورأى الماء فيه ظل العباب

رُمن غمس الجرار في الآذَى فأنى غمسه دلالاً وتيهها
فإذا ما انتصرون نصر الكمي ضحكت كل جرة ملء فيها

ثم أدبرن يحتملن الجراراً تتثنى من تحتها الأجياد...
مادلالاً تيمس تلك العذارى كل لدن تؤوده مناد...

رفعت عند سيرها باليمن ذيل ضاف مهفف معشار
واتقت بالشمال فوق الجبين غزوات الشعاع للابصار

سرن سير المجد عند الورود فإذا ما صدرن سرن اتشادا
أرأيت الظالم عند الشرود أو رأيت القطاة إذ تنهادى

وعجبنا لحاملات الجرار لحن فوق الروس كالأبراج
كيف تبدو في عزمة الجبار ذات جسم كالزئبق الرجراج

تلك سوق مصقولة في العراء لم تمس في جوارب من حرير
وروس خلقن للاعباء لاروس ألفن قص الشعور

ما ترهلن في ظلام الخدور أو طلبن الأديم بالألوان
بل جرت في الوجوه جرى النير حمرة الشمس صبغة الرجن

سائلاني عن أهل تلك المغاني إن هذا الأديم مسقط رأسي
لقتني طيوره الحاني وسقاني هواه أول كأس

مسرحة قد سعدته منذ حين وعليه لعبت دور الغلام
لك يارب زفرتي وحنيني لك عندي تقديس بيت حرام

محمود غنيم

مدرسة فؤاد الأول

النقد اللغوى

- ٢ -

لنر سناد على السباعى

ذكرت فى العدد الأول من هذه السنة ما يحتاج إليه الناقد اللغوى من اطلاع وقراءة واستقصاء فى كتب اللغة والأدب قبل التخطىء والتصويب ، وذكرت عدة كلمات لم ترد فى المعاجم فأناكرها الناقدون مع أنها صحيحة بأسناد قوية ونصوص لا تقبل تأويلا ، منها كلمة عمّة ، التحق ، بواسل جمع باسل ، زاد عن ، ونذكر هنا تنمة لتلك الكلمات أخرى برقم مسلسل :

هـ - عديد : يرى بعض النقدة أن كلمة عديد بمعنى كثير لم ترد ويستبدلون بها عدة ويقولون إنما وردت عديد بمعنى العدد أو المعدود ويستدلون على ذلك بقول رؤبة :

عددت قومي كعديد الطيس إذ ذهب القوم الكرام ليسى
وبقول ما يروى للسموئل بن عاديا :

تغيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

ولكن ذكر الراغب الأصفهاني فى المفردات (يقال شئ معدود ومحصور للقليل مقابلة لما لا يحصى نحو المشار إليه بغير حساب ، وعلى هذا ، إلا أياما معدودة ، أى قليلة لأنهم قالوا نعذب الأيام التى فيها عبدنا العجل ، ويقال على الضد من ذلك جيش عديد كثير وإنهم لذنو عدد أى هم بحيث يجب أن يعدوا

كثرة) وانفراد الراغب بهذا دون غيره من اللغويين قد يريب النقاد، ولكن عنبرة يقول من قصيدة:

فانهض لاأخذ الثأر غير مقصر — حتى نبيد من العداة عديدها^(١)
والسياق هنا يقتضي أن تكون الكلمة بمعنى الكثير لأنه محل الفخر
وموطن التباهي لإبادة أي عدد كان قل أو كثير.
وتقول الخنساء:

فأقسم لو بقيت لكنت فينا عديدا لا يكثر بالعديد^(٢)
فالعديد الأول بمعنى السيد المعداد، والثاني بمعنى الكثير، ولا يكثر
بمعنى لا يغالب، ونفي المغالبة بالكثير هي المقصودة، لأن المغالبة بواحد
لا تستوجب تباهيا واختارا.

٦ - تبدى: أنكر بعض الناس تبدى بمعنى ظهر لعدم ورود
الفعل في المعاجم وخطئوا شاعر النيل المرحوم حافظ بك إبراهيم حين قال
في الشمس:

لاح منها حاجب للناظرين فانسوا بالليل وضاح الجبين
ومحت آيتها آيتها وتبدت فتنة للعالمين
ولكن الفعل ورد بهذا المعنى في شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي في
قصيدته التي مطلعها:

ليس الجمال بمنزور فاعلم وإن رويت بردا
إلى أن قال:

وبدت لميس كائنها بدر السماء إذا تبدى^(٣)
وكتب سعد بن مطرّف الجاشعي إلى ابنة عمها واهها.

(١) شعراء النصرانية ص ٨٣١ (٢) ديوان الخنساء ص ٦٣ طبعة بيروت (٣) لميس اسم امرأة

برزت كاشفة عن وجهها إما للتشبيه بالأمم لتأمن السبي، وإما لماداخلها من الفرع والرحب.

حاش الله أن أكون خلياً من هواه وقد تقطعت وجداً
كيف لا كيف عن هواه سلوى وهو شمس الضحا إذا ما تبدى (١)
فأنت ترى أن الفعل بمعنى ظهر عند الشعارين واضح، ولم تذكر المعاجم
تبدى إلا بمعنى أقام بالبادية، وهو تقصير سببه اتساع اللغة وتفرق مظاهرها.

٧ - ساهم : في المعاجم ساهم بمعنى قارع، وأنكر الباحثون المساهمة

بمعنى المشاركة لأنها لم ترد بهذا المعنى، وعندى أنه لا مانع من استعمال الفعل
بمعنى المشاركة، لأن الذي يقارع غيره له في المقارعة نصيب بأسهم يشارك بها
فيها وقد استعمله أرباب المعاجم بهذا المعنى، فصاحب النهاية لابن الأثير يذكر
في مادة أسا (والمواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق وأصلها الهمزة
فقلبت واوا تخفيفاً) وقد نقل اللسان هذا بنصه وفصه في مادة أسا أيضاً
وكذلك فعل صاحب تاج العروس، كما استعمل صاحب اللسان في مقدمة كتابه
هذه الكلمة بمعنى المشاركة فقال (فاستخرت الله سبحانه وتعالى في جمع هذا
الكتاب المبارك الذي لا يساهم في سعة فضله ولا يشارك) ويقول إبراهيم بن
العباس الصولي حين وهب له عبد الله أخوه ثلث ماله ووهب لأخته الثلث
الآخر وأبقى له الثلث فسار مساوياً لهما في الحال:

ولكن عند الله لما حوى الغنى وصار له من بين إخوته مالٌ
رأى خلة منهم تسد بماله فسأهمهم حتى استوت بهم الحال (٢)
ولاريب أن السيلق هنا لا يتفق مع المقارعة وإنما يتلاءم مع المشاركة أو
المقاسمة ولم يعبه عائب مع أن النقاد أخذوا عليه في هذا الشعر وغيره بدءاً بأداة
الاستدراك ولم يسبقه ما يستدرك عليه، ودافع عنه المدافعون بأنه كان يتخير
شعره فيسقط رذله ويحذف ضعيفه فلا يبقى له إلا اليسير يرى فيه هذا
البند المعيب ولم ير النقاد بأساً أو فساداً في كلمة ساهم ولو رأوا ما سكتوا ثم

أليست المقاسمة مشاركة؟ وما دام قد ورد التساهم بمعنى التقاسم في قول الحكم ابن معمر الخضري وهو شاعر أموي عاصر ابن ميادة وكان أسن منه.

فوالله ما أدري أزيدت ملاحه وحسنا على النّسوان أم ليس لي عقل فساهم ثوبها في الدرع عادة وفي المرط لغاوان ردفهما عبل^(١)

تساهم هنا تقاسم، ويتمول الخطيب التبريزي ص ١٥٣ من الجزء الثالث من

شرح ديوان الحماسة : انقسم جسم هذه المرأة بين درعها وإزارها، ففي الدرع بدن ناعم وخصر دقيق، وفي مرطها فخذان غليظتان عليهما ردف ضخيم،

والدرع الثوب الصغير تلبسه الجارية في بيتها، والمرط كساء يؤتز به،

والعادة الفتاة الناعمة اللينة، ويررى بدل عادة رادة، والراة الشابة الحسنة أقول

ما دام قد ورد التساهم بمعنى التقاسم، واستعمل اللغويون المساهمة بمعنى

المشاركة، فلا داعي لنخطيء من يستعملها، ولننزلها منزلة أخواتها في المعنى، وإن

فات أرباب المعاجم ذكر هذا في مادة سهم، فكم كلمة فاتتهم وندت عن تدوينهم

٨ - صارح : أنكر الباحثون الفعل صارح متعديا لعدم وروده

بالمعاجم، وارتابت مجلة المجمع في عددها الأول بقول البستاني في (محيط

المحيط) وصارحه مصارحة وصراحا وصراحا جاهره اه وأشارت بأن يستبدل

به الكتاب الفعل جاهر فيقولون جاهرهم بالأمر وأما قولهم أصارحك كذا

أو أصارحك بكذا فلا وجه له من الصحة، ولكن الفعل ورد متعديا في

قصيدة أبي طالب اللامية التي قالها متعوذا فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد

فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير

مسلم رسول الله ﷺ لا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه، وتجد القصيدة

مشروحة في خزانة الأدب ص ٥٢ من الجزء الثاني المطبوع بالمطبعة السلفية
وفي المواهب الفتحية ص ١٤٨ من الجزء الأول وفي سيرة ابن هشام ص ٢٩١
من الجزء الأول طبعة الحلبي ومطالعها

خليل ما أذننى لأول عاذل بصغواء فى حق ولا عند باطل
إلى أن قال :

وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأوعوا أمر العدو المزايل
وقد حانفوا قوما علينا أظنة يعضون غيظا خلفنا بالانامل
قال البغدادى مؤلف الخزانة : صارحونا كاشفونا بالعداوة صريحا
والصراحة وإن كانت لازمة لكنها لما نقلت إلى باب المفاعلة تعدت، وكذلك
قال فى حالف فى البيت بعده، ولا ريب أن مما يصير اللازم متعديا دلالة على
المفاعلة، وقد مثل الأشمونى بالأفعال جالست زيدا وماشيته وسأيرته فى مجلس
زيد ومشى وسار، فأنت ترى أن الفعل صارح متعديا صحيح ولا شئ على من
يستعمله وإن لم يدونه اللغويون فى معاجمهم

٩ - كسول : توهم بعض الذين قرءوا مادة كسل فى القاموس
واللسان والأساس أن لفظ كسول خاص بالمؤنث ولا يصح وصف المذكر
به لأن القاموس قال (وهى كسل وكسلانة وكسول ومكسال وهما - كسول
ومكسال - أيضا نعت للجارية المنعمة التى لا تكاد تبرح من مجلسها مدح اه)
وإنما كان هذا مدحا لأن أجمل النساء عندهم المنعمة الممتلئة الجسم التى لا
تحتاج للعمل ولذلك نعتها الشعراء بمكسال ونثوم الضحاء، وهكذا من الصفات
التي تبعد بها عن النشاط والكبد، أما فى زمننا فالأمر يقتضى خلاف ذلك .
وقال اللسان : (والائى كسلة وكسلى وكسلانة وكسول ومكسال) وقال

الأساس : (وامرأة كسلى وهى مكسال وكسول وفسر ذلك بقوله رزان)
وظاهر هذه النصوص جميعها يحمل على اختصاص المرأة بلفظ كسول ويدعو
بعض اللغويين إلى محورها إذا استعملها الناشئون من الكتاب صفة للمذكر
ولكن اللسان ذكر فى مادة زمل والزمّل الكسلان والزمّل والزمّل
والزمّل والزمّيلة والزمّال بمعنى الضعيف الجبان قال أحبيحة بن
الجلاح بن حريش سيد الأوس فى الجاهلية

ولا وأبيك ما يفنى غنائى من الفتيان زميل كسول
ويظهر أنه قال هذا البيت لزوجته سلمى بنت عمرو من بنى النجار، وكانت
لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها إذا
كرهت رجلا فارقته ، وقد كرهت أحبيحة لشحة ففارقته بعد أن أعقبت منه
عمرا وبه كان يسكنى، وتزوجت من هاشم بن عبد مناف فى إحدى قدماته إلى
المدينة فأعقبت منه عبد المطلب (١)

فأنت ترى أن أحبيحة استعمل لفظ كسول للمذكر ، ولو تذكر صاحب
اللسان ما كتبه فى مادة زمل ل زاد فى مادة كسل - وهى بعدها - أن كسولا
أيضا للمذكر ، ولكنه لم يفعل وأغفل صاحب التاج ذلك أيضا فى مستدركاته
والعصمة لله وحده

١٠ - بشوش . فى المعاجم بش الرجل يش أقبلى وهو يضحك ويلقاك
لقاء جميلا ، وعنده بشاشة أى طلاقة وجه وبشر، والفعل لازم لا تقاس منه
صيغ المبالغة، فما جاء منه يقصر على السماع وقد ورد فى المعاجم رجل هش

١ السيرة طبعة الحلبي ص ١٤٥ من الجزء الاول ، والخزاعة طبعة السافية ص ٢٢٦ وما بعدها من

بش^٩، وهاش باش، وبشّاش أى طلق الوجه، وورد البشيش بمعنى البشاشة
فقالوا فلان مضى البشيش أى البشاشة، والبشيش أيضا الوجه ولم يرد فى واحد
منها بشوش، ولكن عنتره العيسى يقول من قصيدة فى شعراء النصرانية ص ٨٤٤
ضحكت عبيلة إذ رأتني عاريا خلق القميص وساعدى مخدوش
ألقى صدور الخيل وهى عوابس وأنا ضحوك نحوها وبشوش
فلا شيء على من يستعمل كلمة بشوش بعد هذا النص، وقد جاءت فعول
من الأفعال المقابلة لهذا وهى لازمة أيضا، فقل عبرس وقطوب من
عبرس وقطب م

يتبع

على الصباغى

رحمة طائر^(١)

- ٢ -

للمستأذنين فايبر الصهيونى

٥- وحدة وتأمل

صاح في الجو كي يرى فيه إلهاً ضلّ في الليل نجوة الأصحاب
فتردّى كما تردّى أسيراً وتخفّت له طريق الإياب
لم يجاوبه غير رجيع صده رنّ فيما يروعه من هضاب
وهنا ، قَطَعَ الرجاء يثوساً وسرى في مذلة واكتئاب
إن في الكون - لو علمت - خفايا بات فيها مُشتّت الألباب
غره أن يطير فيه طليقا كان بالروض أم بقفر الياب
فتبدّت لعينه قوة الكون . وأمسى لعجزه في متاب
بعد ما أنهك السرى من قواه وتناهى به صنوف العذاب

(١) أنظر الجزء الأول من الملاحمة في العدد القانت ،

(٢) كتبت هذه الملاحمة في سبتمبر سنة ١٩٣٢ ،

أى شيء يرومه بعد هذا أيرجى فهو ضه وهو كاي؟
 كيف يرجو النهوض والضعف باد وعظام الجناح صرعى الضراب
 أو يود الوصول ، والإلف ناء وسيل الغريب جم الصعاب
 وأمانى الظلام ، تعتصر القاء ب حنيئا ، إلى الليالى العذاب
 تثلج النفس لحظة ثم تمضى بارقات كومضة من سراب
 هكذا الطير ، كان أشقى فؤادا لم يمتنع بأمين ، أو ماب

٦ - أمل

وتبدى له الخلاء وحيدا دائم الصمت مطرقا فى اضطراب
 كل شيء بجوفه مستكين خاشع الطرف فى سواد الإهاب
 وتراى له شهاب الدياجى مشعلا ناره بجوف الضباب
 فاستشف المغيب فى لهب النج م ، وضوء السما ، وبرق الشهاب
 أبرقت صفحة السماء وماجت بضياء أنار وجه السحاب
 بعثت فيه خفقة من زجاء شجع الطير فى السرى والذهاب
 فانبرى فى سراه يصطك خفقا فى حشاه ، وجوفه فى التهاب

٧ - أليفته !

بين هذا الأنى ومر البعاد عاود الطير ذكريات الفؤاد
 ذكر الطير عيشة قد قضاها بين نغمى المنى وصفو الوداد
 هو يأسى ، وإفقه فى غناء تجرع الهم فوق شوك القتاد
 تشد الإلف فى النهار وتسمى ترقب الطيف فى هدوء الرقاد
 كلما هبت الرياح أحست فى حفيف الرياح قرب البعاد
 أو تغنى على الغصون حمام سمعت فى الغناء صوت المراد
 لم يكن ذاك غيرها جس نفيس قد سقاها الفراق كأس السهاد

٨ - في سماء الريف

ثم طاحت به يدُ النَّأْيِ حتَّى طاف فوق الحُزُونِ والسَّهْلِ في الأر
لا يرى مرشداً بها لهُدَاهُ غير تلك القرى، وهذى النجوع
ضمَّها الليلُ في ثنايا دُجَاءٍ قامتُ كأنَّها قطع اللَّي
وديبُ الفَنَاءِ يَسْتَرْقُ الخَطَّ هـذه قرية حَوَتْ ساكنيها
خَضَنْتَهَا مزارعٌ وحقولٌ ورقيق الكروم ينفع فيها
وطلوعُ النخيل تنشُرُ في الجـ وكان الهدوءَ حولَ رُبَاهَا
طاف في الجو كالغريب المهاجر ض، وفوق الرُّبَا، وفوق المغاور
أو بصيصاً من الرجاء المسامر قد تراءتُ بصمتها كالمقابر
ضمَّة الغالبِ المذلِّ القاهر ل نأتُ عنه، شاردات نوافر
و، ويُفشي مُخَبِّئَات السرائر فتواروا بجوفها كالضمائر
حافظاتُ لساكنيها سواهر نفحات من العبيق عواطر
و أريجاً كنفح طيب الحرائر جنة الخلد لللقى الصابر

٩ - حول القرية

بين هذا الهدوء والصمت يسرى صوتُ شاة من القطيع رَضِيع
فختُ أمُّها عليها وهبت من لذيذ الكرى وصمت الهجوع
أيقظتُ أختها لتروى صداها في بكاء وصرخة التجميع
وُخوار العجول في الحى يسرى إذ أحست لدى المقام بجوع
وصهيلُ الخيول يسرى صداه فيجوبُ الربوع تلو الربوع
ورغاء النياق يبعث في النصف بين الضلوع
ذا ضجيجُ القرى لدى الليل والإظلام فيها مخيم في خشوع
غير ضوء من الخلال سقيم يُجتلِي من وراء ستر منيع

أو سنا موقد تَرَآءَى بعيداً بين مَرَعَى الرعاة حول النجوع
تصطلي حوله الجموعُ السَّهَارَى تحت قطر الندى بجوف الهزيع
وهو قطرٌ تشع منه حياةُ حياة الأزهار صوبَ الربيع

١٠ - على الجدول

قطع الطيرُ هذه الأرضَ ليلاً ليس يدرى ذهابه من إِيَابِهِ
ليس يدرى سوى التَّحِيرِ فيها والضَّنى والآسى، ومرَّ اغترابه
وبعيدا عن القرى وقف الطَّام يرُ شريداً، مُستسلماً لعذابه
فوق غصن من الغُصون تدلَّى في غدير . كَمُنْتَشٍ بشرا به
أسلمَ الفكرَ للهدوء وأخفى رأسه تحت ريشه وإهابه
كَيْتِم طوى بجوف الليالى يستر البؤس تحت بالى ثيابه
أو طريدٍ عدت عليه العوادي لم يُمَتِّع بِأَمَلٍ في شبابه

١١ - بين الحقول

هبط الطيرُ بين زرع نصير طَلَّهُ اللَّيْلُ بالندى المقرور
حالمًا كالجفون أطبقها النَّوْمُ ، فطافت بحلبها المستور
شاخصاتٍ لبعضها كضربٍ يتداني بوجهه لِضَرْبِ
هامساتٍ بسرِّها في هدوء همسة الكشف عن خفايا الضمير
عالمٌ كالصغار حساً وقلبا ليس تدرى الأذى وبغى الشرور
لقى الطيرُ في حماها أماناً فترامى بجنبها في فتور
يزهفُ السميعُ للخشاش على الأر ض ، يُوالى ديبه كالصير
وصفيرُ النقيق تحت مياه نائماتٍ بجفوف كل غدير
ترسلُ الشدى في الجداول ليلاً منشداً لحنه كلحن الخير
حسب الطير ، أن رجَّع صباه هو لحن الردى وصمتُ القبور

١٢ - ديك على جدار

هَبْ ديك من نومه ، ووقف على جدار من دور القرية ، وصاح !

نخاطبه الطائر :

إبه ياديك ..! ما بنفسك حتى تهتك الليل بالصياح نحيبا ؟
أدهاك الآسى ومر التناى عن ديار فبت عنها غريبا
بت تشكو العيال والإلف ليلا وصباحا ، وضخوة وغروبا
أم ضلت الهدى ؟ فصحت تُرجى ذلك العطف والحنان الرطبا
دارك الحائط الذى أنت فيه قمت تشدو منعا وطروبا
أمسك الصوت يارفيق الليالى لست مثلى على الوجود كئيبا

نخاطبه الديك

أيها الطير إن دارى فسيح رحبها ، فاقرب وأقبل اليّا
أهبط الدار ، والتجىء لحماها ستران على الإخاء وفيا
عندى الحب ، فالتهم منه واشرب من قراح المياه عذبا هنيّا
ذى عروش من الكروم بدارى مورقات ، ترف ظلا ورّيا
كل شىء لديك حلّ مباح إن ترّمه ، تجذّه سهلا رخيا
فلك الدوح والحقول . وأزها رُياض تفيض نفحا ذكيا
طف بها ماشاء ، وابعث نواحا وحنينا ، وغنّ لحنا نديّا
إننى أكرم الغريب بأرضى وأرانى له خليلا صفيا
إنما تكرم النفوس نفوس مثلها عزة وحسّا أيبّا
هبطت قوى الطائر ، وخفت أنفاسه ، فاستكان فى ناحية من الخلاء ، فإذا

الرياح الخافقة ، تحمل إليه خفقات الشاعر المتجول : نخاطبه الطائر :

من ترى ذلك المغنى بليلى يبعث الشعر صارخا بالشكا
أترى ضلّ فى المجاهيل مثلى واجتوّه ، فخار فى الظلمات

أم هو الشاعر الذي طاف في الدّيل ، كنفح الزهور في الجنات
 أو كروح مهوّم هبط الأراض ليحوي مواطن الشبهات
 أنت يا شاعري ؟ إذن أنت طيفٌ ملهم الحسّ ، طاهر الخطرات
 تستشف النفوس فيما تعاني وتحسّ القلوب في الخفقات
 هات يا شاعري حديثاً من القلأب . وأيقظ كوامن الذكريات
 حدث النفس عن حياة أراها حياة الوحوش في الفلوات
 ليس فيها لذى الشعور نصيب غير مُمرّ الخطوب والنائبات
 هكذا العيش ؟ إن يكن هو هذا فحرامٌ علىّ عيش الحياة
 لها بقية ستشرّ تباعا

فايز العمروسي

البطل

للمشاعر الأستاذ عبد العزيز محمد خليل

رواية يمثلها طلاب المدارس الثانوية « ذات فصول »

الفصل الأول

جند في طريقهم الى الميدان ينشدون ، نظارة متفرجون ومن بينهم

اثنان في ناحية ترمز لها ممطقي وسعيد

النشيد : أعدوا السلاح ليوم الكفاح فقد حان موعده المنتظر
ومصر تناديكم فانهمضوا وكونوا لها كنزها المدخر

...

إلى المجد فالله يرعاكم وخوضوا الصفوف إلى المعركة
إلى ساحة المجد موتوا بها كراما فلا خير في إمعة

...

أغانىكم من صليل السيوف وألحانكم من قضيب الرماح
إذا جبن الناس خوف الخوف مشينا لها بنفوس سماح

...

ألسنا الأولى ديوخوا العالمين وقادوا الجيوش وسادوا الأمم
وخطوا على صفات الخلود « يعيش المليك ويحيا العلم »

مصطفى يتحدث إلى سعيد: أما سمعت النشيدا أما رأيت الجنودا ؟

هاهم أولاء إلى الحرب يحملون البنودا

وعنهم فاستجابوا وقابلوها أسودا

حيا الإله الجنودا حيا الإله الجنودا

سعيد : إلى الموت؟

مصطفى : بل إلى المجد ساروا يرفعون البنود والأعلاما

سعيد : كتب الله للجنود حياة

مصطفى : أو مماتا . إذن يموتوا كراما

وهما يفترقان

سعيد : عم مساء

مصطفى : إلى اللقاء

سعيد : غدا في ضحوة الشمس أو قريب الزوال

مصطفى : وهنا حيث مربنا الجيش إلى ساحة الوغى والنزال

الفصل الثاني

سعيد : يروح ويغدو في مكان الانتظار يحدث نفسه فيقول :

ويح نفسي ماذا أفدت بلادى إن رضيت القعود والإحجاما

أمن النيل أرتوى فإذا ما قيل دُذ عن حماه قلت علام؟

وعلى أرض مصر أحيأ فإمّا طالبتي الوفاء خنت الذماما؟

فليكن خيرها لغيري فإنني لست إلا مستعبدا مستضاما

يتقابلان :

مصطفى : سلام عليك

سعيد : سلام على صديق المقدى زميل الصبا

مصطفى : علام الدهول؟ ومم الشroud؟ وفيهم البكاء؟ وقت الردى

سعيد : سأفضى إليك بما اتنا بنى وأسهرنى الليل حتى انقضى

ذكرت بلادى وما نالها وما حملت من صنوف الاذى

وهذا العدو الذى أهدقت كتابه خلصة فى الدجى

أليس من العار أن أنزوى وهذا الأوان أوان الفدا

ولم أتمرس بهول الجهاد ولم أعود حياة الوغى؟

فهل من سبيل إلى خطة تصون البلاد وتردى العدا؟

ولو أن مهر تنادى الفداء للبيت وحدى هذا النداء؟

الفصل الثالث

باحة واسعة فيها « ضابط » « أمير جيش » فى ناحية وجنود متفرقون،

يختلى الأمير والضابط فيحدثان .

الأمير : أيها الضابط

الضابط : نبيك أميرى !

الأمير : هات ما عندك !

الضابط : أبنيك أمينا؟

الضابط : لم ندع نجدا من الأرض ولا وهدة إلا ملأناها كينا

ونظمنا الجيش فى ساحاتها وبثينا فى نواحيه العيون

وحشدنا من معدات الوغى قاذفات وقلاعا وسفينا

ثم ناجزنا الأعادى ساعة فاثثوا عنا وفروا هاربينا
فمنعنا الجيش عن غشيانهم وعلينا أنهم يأترونا
فإذا بان لنا مايتوا وكشفناه فحن الظافرونا
ليست الحرب حصونا وقوى بل إلى دين خداعا وفنونا
الأمير يخطب في الجند

أيها الجند دونكم منزل الأعداء قصوه واحملوا الأخبارا
أيها الجند أيكم يبذل الروح فداء ويكشف الآثارا
هاكم المجد والفخار فمن ذا يبتغى المجد أو يروم الفخارا ؟

الفصل الرابع

يظهر مصطفى وسعيد في لباس جنديين انضما إلى الجيش.

سعيد : وداعا أخي جان وقت الفداء وهانذا البطل المرتجى
سأمضى إلى طيتى بإسلا وأسلك وحدى طريق الردى
وأكشف خطة هذا العدو وأحبط من كيد ما أتى
مصطفى : إلى الموت ؟

سعيد : بل إلى المجد أمضى بطلا صاحبي قناعى وسيفى !
أخبر القوم قصتى فإذا ما أقبل الليل فاتبعونى بزحف
حيث أرمى العدو بالحيلة البكر وألقى بين الكتائب حلقى
ويمضى مسرعا وتنزل الستارة .

الفصل الأخير

أمير الجيش يحيى نعش البطل ملفوفاً بالعلم ، فإذا أنزلته الجنود ليدفن
حيثه فرقة هذا النشيد (منظر عسكري)

مجدوا هذا الشهيد اذكروه في علاه
وانظموا فيه نشيدا تتغناه الشفاه

...

كانت الأوطان نهبا فخاها
ودعت مصر فلي واقتداها

...

مجدوه ، اذكروه قدسوا هذا الدما
خلدوه ، اجعلوه للضحايا علما

...

حنطوه بالدم الحر الطهور .
وضعوه في الحنايا وادفنوه في الصدور .
واخفضوا الرأس لذكراه على مر الدهور
خلدوه في الأغاني

واذكروا فيه الأمانى

إنما الذكرى وفاء .

أيها البطل — أيها البطل
نم قرير العين في دار الخلود

عبد العزيز محمد خليل
مصر الجديدة للبنات

فهرس ست

العدد الرابع من السنة السادسة

صفحة	المقال	الكاتب
٣	مقدمة	التحرير
٤	موجة نور من ضفاف الانبياء	للاستاذ محمود حسن إسماعيل
٩	الأسلوب القصصى وأثره فى النثر العربى	للككتور أحمد ضيف
١٧	المملكة الفاضلة « لسير توماس مور »	للاستاذ عبد الرزاق حميدة
٣١	المبقى فى الأدب العربى	» عبد اللطيف المغربى
٤٣	التربية الإسلامية	» محمد على مصطفى
٥٠	من الشعراء المنسيين	» عبد العظيم على قناوى
٦٤	السر الغريق أو فتاة نهر السين	» محمد عبد الغنى حسن
٦٦	عقليات الفلاسفة	» عطية الشيخ
٧٤	تيسير اللغة العربية وتهذيبها	» محمد على الدسوقى
٨٧	مع الطغرائى فى وصف هاجرة وورد	» السباعى السباعى بيومى
٩٢	مسابقة اللغة العربية	» سيد قطب
٩٩	على ضفاف الغدير	» محمد غنيم
١٠٢	النقد اللغوى	» على السباعى
١٠٩	رحلة طائر (قصيدة)	» فايد العمروسى
١١٥	البطل (رواية تمثيلية)	» عبد العزيز محمد خليل